دراكونيان

دراكونيان

أمنية السعدني

تصميم الغلاف: محمد دياب

المراجعة اللغوية: رولا حسينات

رقم الإيداع: 2017/26210

I.S.B.N:978- 977-6640-01-6

الطبعة الأولى 2017م



الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

أمنية السعدني

دراكونيان

رواية



إلى المرأة

المرأة في حياتي إلى أمي إلى صديقتي
الوحيدة إلى المرأة التي حققت حلمي

وإلى رجل واحد فقط هو أبي

الفصل الأول

-1-

مقدمة

إنها الواحدة بعد منتصف الليل ...وتلك الحقنة في يدي...لا أعرف نتيجة ما سأفعله بنفسي، ولكني أعلم أني سأرتاح ...إن لم يكن بالموت ...فبطريقةٍ أخرى.

***

اسمي لورا يوسف كامل عمري الآن 27 عام مريضة منذ الولادة، مرضي مؤلم جداً ولا علاج له فمرضي كالسرطان المؤلم يتوغل يومياً ويزداد، بل هو كنصل السكين المغروس في ظهري، ولن أتخلص منه أبداً؛ مرضي هو الوحدة... فأنا وحيدةُ أبواي، وحيدةٌ بلا أصدقاء بل إني لا أملك ذاتي لأصاحبها لوحدتي... أسبابٌ عديدة؛ في البداية كنت طفلةً عاديةً لأبوين ميسوري الحال جداً...لكن بدأت مشكلة حياتي بالخجل، وعدم القدرة على تنسيق الكلام؛ فالأطفال تتعلم الكلام من بعضها...

أنا لم أقل: يا ماما... إلا عندما سمعت الأطفال حولي يقولون لأمهاتهم كذلك، كان أبواي يرسلانني إلى الحديقة بجوار منزلنا؛ كي ألهو مع الأطفال في مثل سني ولكني لم أعبأ باللعب

مع الأطفال، بل كنت أهتم بأمرٍ آخر تماماً؛ كنت أهتم بالحياة، والطبيعة، كنت أتتبع أسراب النمل... من أين خرجت؟ وأين تذهب؟ كنت أتأمل أيَّ كائنٍ يتحرك عدا البشر... حتى الصراصير التي يهلع الأطفال منها كنت أتأمل تصرفاتها بشغف وأتعجب من حركة الشعرتان الطويلتان في مقدمة رأسها (قرون الاستشعار)، كنت أتبع الطيور، وأركض خلفها متمنيةً أن أمسكها، ولطالما عدت لمنزلي باكيةً، وأنا أترجى والدي أن يعيد لي الطائر الذي كنت أتبعه... ذلك جعلني ضعيفةً في التفاعلات الاجتماعية؛ فلم أكن أدرك أنه عليّ أن أقول: السلام عليكم...عند دخول أيِّ مكان... ولم أكن أعرف آداب التحدث في الهاتف، لم أكن أعي معنى تلك الكلمات وفائدتها، فما هي فائدة ذلك السؤال السخيف- كيف حالك؟- وأنا أعلم مسبقاً أن الإجابة: ستكون بخير... فلن يسرد لي شخص تاريخ حياته من يوم ولادته حتى قابلته أنا وسألته كيف حالك ؟!...سيكتفي بقول: أنه بخير... وسننتقل بعد ذلك للحديث عن الأمور المهمة في الحياة.

فلماذا نسأل ونكرر السؤال، ونضيع دقيقة فيه، وفي إجابته؟! في حين أنه يمكننا أن نتحدث مباشرةً عن أمور الحياة المهمة!.

كما لم أكن أعرف ما هو التصرف المثالي عند وجود ضيوف؟!، لا أعني بما أقول أن أبواي لم يرشداني لتلك الأمور أو يعلماني إياها... بل كانا يحاولان تدريبي على الأمر، وكنت أنا

من أفشل في ذلك... لذلك لم تكن لديّ صداقات الطفولة تلك التي تكون بين الأطفال في سن الثالثة.

ولكن كانت هناك صفةٌ لم يتعامل معي أحد إلا ووصفني بها وهي... الذكاء الشديد، وحتى لقبوني بالدكتورة. كل ما حكيته الآن ليس مهماً... ستظنون أنّي كنت طفلةً، مدللةً، وحيدةَ أبويها... تلك التي تحصل على ما تريد بإشارةٍ من أصغر أصابعها... لم أكن أبداً كذلك، ولا أحبُّ أن أكون.

في مرحلة المراهقة، أصبحت مريضةً بالاكتئاب؛ ذلك لأني لا أستطيع التعبير عن نفسي، حتى جسدي الواهن الضعيف لم يكن يقوى على التعبير عما أريد... ولكن قصتي ومأساتي ليست في كل ذلك، قصتي الحقيقية تبدأ بالفعل في ذلك المكان ...

***

-2-

سجن ...أسوار عالية .....بوابة حديدية ...أرض رملية ذلك ما قد تمثله المدرسة في عيني كل طفلٍ في السادسة، يدخلها لأول مرةٍ في حياته، يكون في البداية سعيداً ثم تبدأ نوبة البكاء؛ لأنه يشعر بشوقه إلى والديه، ولم يعتد بعد على أن يبتعد عنهم كل ذلك الوقت...

أما بالنسبة لي أول يوم في المدرسة الابتدائية كان أشبه بنزهة، كنت فخورةً بنفسي كثيراً، يشبه كثيراً شعوري عندما أصبحت طالبةً جامعية، ودخلت كليتي لأول مرة، كنت أشتم للمكان رائحة... كنت أقول عنها رائحة العلم... كنت في شوق لأن أتعلم كل ما أجهله، وكان ذكائي الذي يتحدثون عنه يعطيني الدفعة الكافية لذلك، وبسبب خجلي أو كما تريدون أن تقولون عنها: أنها قلة ذوق أو ربما تصفونها... بالعملية؛ وهو الوصف الذي أقنعت نفسي به، فأنا في نظر ذاتي أترفع عن الصغائر، والسلامات، والترحيبات، وكل تلك الأمور، وأفضل البقاء صامتة، وحيدة، وبداخل رأسي يدور كل شيء، فكما يقول المثل الصيني:" فكر سنة وتكلم ثانية." كنت في السنة الأولى أتوق

لتكوين الصداقات الكثيرة هرباً من وحدتي تلك، ولكن هدوئي وخجلي أفشل العديد من المحاولات... حتى وأخيراً وبعد أن أصبحت في الصف الثالث، انضممت لجماعة من الأصدقاء من الأولاد والبنات، كنا ستة أشخاص... لم تكن تلك الجماعة كما كنت أطمح في مواصفات الأصدقاء التي كنت أتمنى أن أجدها، كانوا مغرورين، أنانيين، وفي أثناء الامتحانات يصبحون أصدقاء مصلحة، قد تتساءلون: ما الذي جعلك تصبرين على كل تلك المساوئ فيهم؟!

كنت إذا حاولت الابتعاد عنهم أشعر بأني ألقي بنفسي داخل سجني المظلم مرةً أخرى، وأعود لمرضي ووحدتي؛ لذلك كنت أصبر، وأعطيهم ما يريدون مني، كانوا يتفاخرون علي... رغم أني أكثر تفوقاً منهم جميعاً ولكني لم أملك الشيء الذي يجعلني بينهم محبوبةً ألا وهو جمال الشكل؛ فقد كنت نحيفة جداً، أرتدي نظارةً كبيرةً لضعف نظري، وتحت عيناي تلك الهالات السوداء...

لم أكن مثل سالي ...ماذا ألا تعرفون سالي ؟! من شاهد أوبرا كارمن فحتماً يعرف ذلك المشهد؛ حيث يصطف الرجال خارج مصنع الكبريت، ينتظرون أن تطلَّ عليهم كارمن ليعترفوا لها بحبهم، ومدى إعجابهم بكارمن الجميلة، ذات الحسن والدلال... تلك تماماً هي حياة سالي؛ يصطف حولها الأولاد رغم صغر سن الجميع، يحاولون التودد لها بكل ما يملكون، طبعاً من يستطع مقاومة ذلك الشعر الذهبي الذي يزداد لمعاناً في ضوء الشمس وهاتين العينين الخضراوين، والتي تتباهي بجمالهما، وجمال لونهما ؟!

من يستطيع مقاومة ذلك القوام الرشيق الرائع، وكأنها إحدى منحوتات العصر الروماني؟ً كان ينقص سالي أمرٌ واحدٌ فقط لم تكن تملكه، وكنت أملكه ...وهو العلامات الجيدة .

وبصفة سالي هي قائدة مجموعة الأصدقاء تلك، فقد وافقت على مضض عندما طلبت منهم الانضمام إليهم... وافقت... لأنها أدركت أنها تستطيع أن تستفيد من وجودي؛ لتحصل على ما ينقصها لتصبح حينها الفتاة التي لا تقاوم، ولكني كنت أستطيع أن أعطيها ما أريد أنا أن أعطيها... وليس ما تريد هي أن تأخذه، حتى أتى يوم جديد، وأشرقت شمسٌ جديدةٌ في حياتي، قلبتها رأساً على عقب...

***

-3-

حسناً سأعود بحياتي إلى الوراء كثيراً...

لأتذكر مشاهد منها ...تلك المشاهد التي لا تغرب عن رأسي لحظةً حتى اليوم، وأراها الآن أمام عينيّ، وكأنها قد حدثت للتو...

سالي : من أنتِ؟ ماذا تريدين منا؟ ألست تلك الفتاة المتفوقة؟ ألم تكوني صاحبة المركز الأول العام الماضي؟ لم تقفين أمامنا هكذا صامتة؟!

لورا: أنااا... أردت فقط الإنضمام إليكم...

سالي: ههههههههه توقعت أن تترفع فتاة مثلك عن التواجد معنا...

لورا : لست مغرورة لأفعل ذلك ... أريد فقط بعض الأصدقاء.

سالي: يا جماعة الأستاذة لورا تود أن تكون بصحبتنا ما رأيكم؟

هبه: سالي تعالي إلى هنا...سأخبرك أمراً ما.

وبعد أن همست هبه في أذن سالي...

سالي: حسناً، سأجعلك تجلسين معنا...ولكن لصحبتنا بعض الشروط.

***

سالي : كما وعدتكم سنذهب غداً لمشاهدة فيلم .... وسنتناول طعامنا في مطعم فندق والدي.

لورا : حقاً ولكني لم أكن أعرف لِمَ لم تخبروني من قبل؟

سالي : لست مدعوة في الحقيقة...لا تحزني، ربما نصطحبك عندما نذهب في زيارة إلى المتحف...

ليضحك بعدها الجميع بصوت عالٍ...

***

كل ذلك لم أهتم به كثيراً، نعم تأذيت، وبكيت بسببهم كثيراً، ولكن كنت أفضل التحمل على العودة للوحدة مرةً أخرى...حتى أصبحنا في الصف الخامس ...أتى إلينا فتىً جديد، لم يكن من مدينتنا الصغيرة بل من مدينة أخرى ثم انتقل أبواه إلى مدينتنا؛ لذلك دخل إلى مدرستنا ليكمل تعليمه...

إنه أحمد...ذلك الكائن الخرافي...شديد الوسامة بشكل كبير؛ فشعره له ذلك اللون الداكن... كسماء الليل المضاءة بالنجوم، وعيناه زرقاوان كالبحر شديد الأمواج... كان متوهجاً كنور الشمس القوي الذي يخطف الأبصار، كنتُ أخبأُ عينيّ

خوفاً من شدةِ هذا الوهج... كان طيباً هادئاً صامتاً مثلي تماماً ...كان يحب كل ما أحبه، كنا متشابهين لدرجة لا تصدق ...حتى اندفع بي تفكيري المجنون... لأن أن أفكر بأنه ملكي ..لي وحدي، ولا أسمح لأحد أن ينظر إليه، ولا يخاطبه، فمن حقي أن يحبني أنا، فمن يناسبه سواى أنا؟. ..للوهلة الأولى جعلني ذلك الحب أن أتخلى عن خجلي، وعن تحفظي، ووجدت قلبي لا يفكر إلا به ...كان ذكياً جداً وهذا ما جعل سالي هي من تطلب منه الانضمام لمجموعة أصدقائنا...انضم بهدوء، ولم يكن يفكر مثلهم، لم يكن يهتم بالجمال الخارجي مثلهم رغم أنه يمتلكه ...كدت أجن، وأنا أفكر كيف أتقرب إليه؟! كيف أجعله يشعر بتلك البراكين في داخلي؟! ترى هل سيلتفت إلى من الأساس؟! هل سينظر لتلك الفتاة القبيحة بين مجموعة الجميلات المحيطات به؟! تلك كانت أمنيتي التي كنت أصلي لأجلها كل يوم...كنت أراقبه أينما ذهب، وعندما كان يلاحظ ذلك... كنت أهرب بعينيّ بعيداً، ولكن عندما يصرف انتباهه شيء أخر...كنت أعود، وأنظر إليه ولكن كانت هناك عينان أخريان تراقباني عن كثب...

***

-4-

-أولم أخبركم عن حياتي الأخرى؟!

حياتي التي يفخر والداي بأني أحياها، الحياة التي حصلت فيها على كل شيء، ولم أحرم فيها من أيّ شيء مادي... تلك الحياة التي أحياها منذ أن كنت في الرابعة من عمري؛ فقد أرسلني والداي... لتعلم رياضة الشيش... كان رائعاً في البداية، وأصبحت محترفةً، وحاصلةً على العديد من البطولات في سن صغيرة، كان مدربي يتنبأ لي بمستقبلٍ رائع، ولكن لم يتنبأ بما حدث لي، وما أعيشه الآن...كان كل ما أطلبه من أبويّ مجاباً دون نقاش.

ولم أكن طفلةً طماعة تطلب الكثير، حتى أني لم أكن أعبأ كثيراً بالطعام، ولا بالشراب، ربما هذا كان سرَّ نحافتي الشديدة، كنت دوماً ما أقول: أني أتغذى على الكتب... كانت لدي مكتبة ضخمة في غرفتي، فيها كل الكتب التي قد تخطر على بال، كنت أفخر بها كثيراً، ولا أتحرك من أمامها.

كنت أنظف كتبي يومياً وألمع أرفف مكتبتي، وأعتني بها بشكل ربما مبالغ فيه، ولكن كل تلك الرفاهية لم تعنِ لي الكثير؛ فالحرمان الذي عشته... كان الحرمان العاطفي... لم أحظَ بأصدقاءَ حقيقيين ...لم أحظَ حتى بالحب ...لم أحظَ بروح الحياة ذاتها...ولا أُحمَّل اللوم على أبويّ في ذلك، فلقد كانا يبذلان دوماً ما بوسعهما لإسعادي... كنت أنا فقط سابحة في بحر أفكاري، وخيالاتي مع حبي... الحب الذي أكننته في قلبي، ولم أبح به لأحد أبداً... حتى لم أكتب عنه في الورق... كان سراً لا يعلمه سوى قلبي، ومع ذلك عيناي كانتا تقولان الكثير ولكن من يسمع!

لم تُسمعني الأذن التي تمنيت أن تسمعني، بل سمعتني آذان أخرى لم أتوقعها، وفاجأتني ذات يوم... حين كنت أجلس بأحد الطوابق في المدرسة، فقد كنت أقرأ كتاباً في حصة الألعاب، كنا قد أخذنا للتو نتائج بعض الاختبارات الشهرية، جاءت هي من خلفي وفاجأتني...

سالي: ما الذي تظنين أنك تفعلينه؟!

لورا: لم أفهم ماذا تقصدين؟!

سالي: وافقت أن تكوني صديقتي لأحصل على العلامات النهائية...

لورا: أها...

سالي: انظري تلك هي شهادتي ...أيتها المخادعة، لم تعطني الإجابات الصحيحة عندما سألتك!

لورا: هل أمسكت يديك، وعينيك، ورأسك حتى لا تتذكري؟! تلك هي مشكلتك، وليست مشكلتي... لا تلومينني على خطأك...

سالي: هل هذا هو اعتذارك لورا ... حسناً... إذا كنت تريدين لويّ ذراعي... فأنا أملك أيضاً ما يحط من شأنك وكبريائك هذا؟!

لورا: وما هو هذا الشيء؟!

سالي: أعرف سرك جيداً...أعرف ما تخفين...عيناك تفضحانك بشدة.. تتحدثان عما في داخلك ...أتعلمين لن أفضح أمرك، وأخبر الجميع؟! بل لديّ طريقة أخرى لذلك ... طريقة أخرى لأنتقم منك.

ونظرت لي نظرة لن أنساها أبداً، ولكني استجمعت قواي... وقلت: هاتي ما عندك ... فأنا لا أخفي أيّ شيء ولا أخشى منك.

سالي : سنرى!

كل ما دار في عقلي حينها أفكار عديدة، ولكنها ابتعدت كل البعد عن الحقيقة ...الحقيقة التي كانت تتجلى بمنتهى الوضوح...

***

-5-

كنت قد بدأت أن أتعلم اللعب على البيانو في سن التاسعة، وأجدته تماماً بعد عام واحد، لطالما كنت أحب هذا اللحن، وفي فترة الراحة في المدرسة كنت أذهب لحجرة الموسيقى... حيث أنفرد بالبيانو، وأشكو له همومي فتصدر نغمات حزينة جداً، ولكنها شجية للغاية، وفي إحدى المرات، وأنا في تلك الغرفة أعزف في فترة الراحة و إذا بي أجده يمرُّ من أمام الغرفة، دخل وقال: رائع ... لطالما كنت أتي هنا في فترة الراحة فقط لأسمع هذه الألحان الرائعة، لم أعرف أنك من تعزفينها... أحب البيانو كثيرا ..لكني لم أتعلمه للأسف.

لورا (بنبرة ارتباك): أمممم ...اااا ... شكرا ...البيانو شيء بسيط يمكنني أن أعلمك...

أحمد: حقاً!

لورا: نعم... سأعلمك إياه كما تعلمته أنا...الأمر بسيط صدقني...

فابتسم ابتسامة سعادة ظهرت معها أسنانه البيضاء...كانت وكأنها تشع في وجهي...

بدأت بالعزف قليلاً ... ثم فجأة ...أتت سالي...

سالي: أحمد أنت هنا كنت أبحث عنك...تعال لدي أمر هام لأحدثك عنه.

وجذبته من يده بقوة فنهض، وخرج معها رغماً عنه، وفي أثناء خروجهما ودون أن يلاحظ ابتسمت لي ابتسامةً في غاية الخبث...

وخارج الغرفة...

سالي: لماذا تجلس معها...هل جننت؟

أحمد: ولماذا أجن إذا كنت جالساً معها...هي صديقتي وكذلك أنت.

سالي: أحمد... هذه لورا ... إنها ...إنها...حسناً لا أعرف كيف أصفها لك...

أحمد: ما الذي تريدين قوله سالي؟

سالي: أنصحك فقط ألا تجلس معها.

أحمد: شكراً على النصيحة...ولكن أنا أعرف ما أريد أن أفعله وما لا أريد...

وتركها وذهب...

وعادت سالي مرةً أخرى للغرفة ... كنت لا أزال محدقةً بالهواء، وأصابعي على البيانو لا تتحرك...

عادت سالي وجلست أمامي مباشرة...

سالي: هل رأيتِ يا صديقتي أني أعرف كل شيء؟!

لورا (بنبرة مختنقة): ماذا تقصدين؟

سالي: سأجعلك تبكين ليلاً ونهاراً...فعندما أرفض حبَّ شابٍ أعرف جيداً شعور ذلك الرفض عليه... فما بالك إذا كانت فتاة هي من تتلقى الرفض من شاب؟!

لورا: أيَّ رفض؟ عما تتحدثين؟!

سالي: لورا...لماذا تنكرين الأمر؟! ...لا تقلقي لن أقول لأحد... سيكون سراً بيننا، ودعينا نتكلم على المكشوف... ويكشف كل منا أوراقه في هذه اللعبة، ويعرض كلٌّ منا مهاراته، ولنرى من سيفوز في النهاية...

لورا: حسناً...إنه ليس مثلك... لن ينخدع فيك، وبمظهرك...ليس تافهاً مثلهم... لن يقع في حبك.

سالي: أتراهنين على ذلك؟

لورا: نعم...

سالي: حسناً، إذا ربحت أنا، تتركين هذه المدرسة... وإذا ربحت أنت سأغادرها أنا...هل أنت موافقة؟

لورا: حسناً.

سالي: إذاً من الأفضل لك أن تجهزي أوراقك لتنتقلي من الآن.

ثم غادرت ...

ما هذا الذي فعلته؟ كيف لي أن أجعله مجرد أمرٍّ للرهان؟ يا لي من حمقاء؟! سيغضب مني إن علم بهذا الأمر ولكني لن أترك تلك الجاهلة الحمقاء لتتغلب عليّ أبداً... أبداً...

***

-6-

في أحد الأيام دعوت مجموعة أصدقائي لحضور مباراة في الشيش، سألعب فيها ضد خصم قوي جداً، ويمكن أن أحصل على جائزة، وقد حجزت لهم مقاعدَ قريبةٍ من الحلبة كي يشجعونني يوم المباراة...وأتوا جميعهم ومن بينهم سالي، وأحمد.

كانت المباراة عبارة عن ثلاث جولات؛ من يفوز باثنتين فقد فاز بالمباراة، ثم بدأت الجولة الأولى فانتظرت أن أسمع اسمي يتردد عالياً... كي يستيقظ حماسي للفوز بداخلي، ولكنهم كانوا يشاهدون بصمت.

لم أهتم لذلك منذ متى وهم يشجعونني؟! على أية حال فزت في الجولة الأولى، وخلعت القناع عن وجهي ونظرت حينها لسالي، وكأني أقول لها أتمنى أن تكوني أنت خصمي في هذه اللعبة لأحطمك وأهزمك كما فعلت مع خصمي الحالي... وبدأت الجولة الثانية، عندها سمعت صوت ضحكاتٍ عالية، كنت أريد أن أركز في المباراة، ولكن صوت الضحكات ظلَّ يتردد، في المرة الأولى شككت، ولكن هذه المرة تأكدت إنها ضحكات سالي فنظرت باتجاهها...

لأجدها تحادث أحمد، ويضحكان... تشتت انتباهي، وهُزمت في الجولة الثانية، وعندما بدأت الجولة الثالثة

لم أنظر إليهم، ولم يشتعل حماسي ولكن غضبي هو ما ثار ثورة البركان، حتى صبَّ ذلك البركان جام غضبه على ذلك المسكين خصمي، وفزت بالجولة الثالثة، وبالمباراة، ولكني لم أشعر بحلاوة ذلك الفوز بل سقطت دموعي من خلف القناع، ورحلت بسرعة دون أن أودع أحداً، ذهبت إلى بيتي، وإلى غرفتي لأدفن رأسي في وسادتي...

وأبللها بدموعي كما تعودت منذ أن تعرفت إليهم... سلبوني في ذلك اليوم كل شيء... سعادتي وحياتي القصيرة في ذلك الحين، بعد ذلك كنت كلما حاولت أن أتقرب إليه خطوة زادت هي خطوتين أو ثلاث، فجمالها يمنحها خطوة...

وجرأتها تمنحها خطوة... لكن ما كان ينصرني عليها، هو تفاهتها الشديدة فهي... فتاة تافهة، وحمقاء بمعنى الكلمة...

فلقد أتت أمامه ذات يوم...

سالي: أحمد!! ما رأيك؟

أحمد: بماذا؟

سالي: بتسريحة شعري الجديدة فلقد صففته اليوم لأجلك.

أحمد: لأجلي أنا...على العموم جميل يا سالي.

ولكن بعد أن ذهبت هي رأيت تعبير الدهشة على وجهه، ما هذه الجرأة التي تمتلكها تلك الفتاة؟ وما هذه التفاهة أيضاً؟

ولكنها كانت ماهرة جداً كذلك، كانت تستغل كل ثانية في التقرب إليه، وبعد ذلك وفي شهر فبراير كان عيد ميلاده، لم تعلم هي بتلك المعلومة... فحمدت الله على ذلك، ووجدت حينها فرصة ذهبية للتقرب إليه عندها... كنت قد جمعت من مصروفي مبلغاً جيداً، واشتريت له ساعة قيمة وأعطيتها له.

لورا: تفضل! كل عام وأنت بخير...

أحمد: ما المناسبة؟!...آه لقد نسيت، إنه عيد ميلادي...أشكرك لورا أنت الوحيدة التي تذكرت ذلك ولكن كيف عرفت ..

لورا : بالصدفة

أحمد : أنت شخصية رائعة

لورا : شكراً

أثلجت قلبي تلك الكلمة كثيراً ولكن ترى... هل قالها من باب المجاملة؟ ويقولها لسالي أيضاً عندما تكون معه.

وفي الشهر الذي يليه كان عيد ميلاد سالي، كنا قد تعودنا منها على حفلة ضخمة في منزلها الكبير، ولكن هذه المرة فوجئنا بحفلة بسيطة على متن اليخت الخاص بوالدها، وقد عزمتنا نحن الثمانية فقط احتفلنا وأعطيناها الهدايا ثم...

سالي: هذه الحفلة استثنائية...فلن يكون هناك موسيقى كالعادة، بل سنجلس لنتسامر قليلاً، ونلعب لعبة الصراحة ...جلسنا حول مائدة مستديرة كانت معدة لنا...

سالي : سأبدأ أنا بما أنه عيد ميلادي.

وأدارت المؤشر...ليساهم حظي السيئ كالعادة في أن يجعلني أول من يتم سؤاله.

سالي: لورا !! سؤالي هو ... هل راهنتي على أمر من قبل وخسرت فيه؟؟

لورا: وهل فعلت أنت؟؟

سالي: قانون اللعبة أن تجيبي على السؤال، ولا تسألي سؤالاً يقابله...

لورا : إذاً فلن ألعب هذه اللعبة السخيفة.

ونهضت وغادرت بسرعة دون أن أودع أحداً، وانتهى العام الدراسي على هذا، ولكن ما حدث في العام التالي كان أفظع...

***

-7-

وأتى العام السادس والأخير في مراحل التعليم في تلك المدرسة، كان شهر أكتوبر... كنت أدرس في حجرة الدراسة في فترة الراحة، لأجد أمامي من يضع علبه من القطيفة، رفعت بصري لأجده هو...

لورا: ما هذه؟!

أحمد: كل عام وأنت بخير ... هذا شيء بسيط أتمنى أن يعجبك فأنت الوحيدة التي تذكرتني في العام الماضي وأعلم أن عيد مولدك يكون في الصيف، لذلك اشتريت الهدية، وأبقيتها معي حتى ألقاك هنا...

فتحت العلبة، وكان خاتماً رائع الجمال يتخذ شكل الوردة...

لورا: رائع يا أحمد أشكرك، ولكن كيف عرفت أن عيد ميلادي هو اليوم...

أحمد: عن طريق الصدفة...

فابتسمت لأنها كانت نفس إجابتي عليه العام الماضي، وبعد شهرين كانت المدرسة تقيم رحلة إلى الأهرامات

ككل عام، وكل مرة لم أكن أذهب، ولكن هذه المرة طلب مني والديّ الذهاب لأرفه عن نفسي قليلاً بعيداً عن الكتب والدراسة، ولم أستطع رفض طلبهما...ككل طلباتهما لا أستطيع رفضها أبداً، فأنا لم أسمح أيضاً لحبي أن يؤثر على دراستي كذلك، فحصلت على المركز الأول ككل عام لأرضيهما فقط، ولأكمل دوماً سلسلة فخرهما بي أمام الجميع، لم أعرف أيضاً أن أحمد كان سيطلع الرحلة معي، فزادت سعادتي، ولكن سالي لا تفوت أي رحلة فاسمها هو أول الأسماء دوماً في القائمة، وفي الرحلة عند الأهرامات كان يوجد طريق منحدر شديد الانحدار يعرفه من زار الأهرامات جيداً، إذا كان قد مشى فيه؛ فالصعود في ذلك الطريق مرهق للغاية، ولكننا كنا صغاراً... فقال لنا: المعلمون تسابقوا حتى نهاية الطريق. ففعلنا ولشدة ضعفي لم أكن أجري بقوة مثلهم وكان الهواء شديداً، فقد كنا في شهر ديسمبر، وكنت أربط وشاحاً على رقبتي فطار مني، ظللت أركض وراء وشاحي ولم أستطع اللحاق به.

فتوقفت وأنا ألهث بشدة فإذا بي أجد أحمد قد أمسكه وأتى به إلي.

أحمد: خذيه .. هو لك أليس كذلك؟

لورا: نعم ... ولكن لن أخذه، أبقه معك ...كذكرى... ربما... فأنت تعلم أنها السنة الأخيرة لنا في المدرسة ربما يكون له تأثير سحري.

أحمد: كيف؟!

لورا : أبقه معك وعندما تريد أن تراني أمسكه وانطق اسمي ثلاث مرات تجدني ...

ثم ضحكنا وبالفعل أبقى الوشاح معه ولم أسترده حتى اليوم، مرَّ ذلك العام بهدوء ما بين تلك المنافسات السخيفة بيني وبين سالي حتى أتى شهر فبراير حيث عيد ميلاد أحمد في أحد أيام هذا الشهر

كنت قد حضرت هديته مسبقاً... كذلك كنت سأهديه مجموعة من الأسطوانات لأغاني وموسيقى فرقة موسيقية يحبها، وقد أخبرني ذات مرة أنه لم يجد هذه الأسطوانات في المحلات القريبة كما أني أتيت له ببعض توقيعات وصور تلك الفرقة، وقبل عيد ميلاده بأسبوع كنت أجلس بجوار أحد أحواض الورد في المدرسة أقرأ كتاباً عندما أتى إلي فجأة ...

أحمد: بدون نقاش حفلة عيد ميلادي في منزلي بعد أسبوع وأنت مدعوة.

لورا : ماذا ... غريب لم تقم حفلاً السنة الماضية...

أحمد: في السنة الماضية توفي أحد أقربائي لذلك لم تقم عائلتي حفلاً، لكن هذه السنة وافق أبي على إقامة حفلة وسمح لي بدعوة أصدقائي وقد عزمت الجميع ... لا تنسي الهدية.

ابتسمت وأكدت له حضوري في الموعد ..بعد يومين كنت في المكتبة أنتقي كتاباً جديداً، لأستعيره فوجدت هبه آتية إلي ...

هبه: مرحباً لورا.

لورا: مرحباً هبه لم أراك في المكتبة من قبل ؟!

هبه: آه... لقد جئت لأستعير كتاباً فأنا أكتب بحثاً لمسابقة .

لورا: جيد أتحتاجين لمساعدة ؟

هبه: شكراً ... هل ستذهبين لحفل عيد ميلاد أحمد في نهاية الأسبوع ؟

لورا: أجل لقد عزمني...

هبه: ماذا أحضرتي هدية له ؟

لورا: لماذا تسألين؟

هبه : سؤال عادي فأنت مقربة منه تعلمين ما يحب وجئت لأسألك فقط، بالنسبة لي لقد أحضرت له ميدالية قيمة وأنت...

لورا : إنه يحب فريق .... لذلك أحضرت له الأسطوانات الخاصة بهم ...

هبه : آه حسناً أراك لاحقاً ...

وغادرت .. لم أفهم سر تلك المحادثة الغريبة فلم تعتد هبه على محادثتي بتلك الحميمية، لا يهم

وفي حفلة عيد الميلاد ذهبت وقد أحضرت هديتي في صندوق كبير بعض الشيء، وأتى الجميع و من بينهم سالي تحمل صندوقاً

قيماً ومزيناً بطريقة مبالغ فيها بعض الشيء، ولقد قلدها في أنه عزمنا نحن السبعة فقط

ولأن صندوقي كان كبيراً، كان في أسفل الهدايا وبدأ بعد أن احتفلنا وأطفأنا الشموع في فتح الهدايا الواحدة تلو الأخرى بحسب ترتيبها في الحجم، كانت هدية سالي تسبق هديتي وقد كنا جميعاً واقفين في أثناء فتح الهدايا

كنت أعلم كم سيسعد بهديتي؛ فمهما كانت هدية سالي حتى لو كانت قيمة، فالهدية التي يحبها الشخص تتغلب على الهدايا باهظة الثمن...

وأتى دور هدية سالي ففتح العلبة لأجد أنها المجموعة الكاملة لأغاني موسيقي ذلك الفريق وكل شيء خاص بهم.

عندها التقت عيناي المندهشة بعينيها الشامتتان، ولشدة سعادة أحمد بالهدية، وجدته يقول دون أن يشعر: سالي أنا أحبك!!

لم أعلم إن كان يقصدها أم قالها من شدة الفرحة، ولكن هكذا قد خسرت الرهان، وانتهى كل شيء أمام عينيّ في لحظة..لم أستطع الإكمال فدموعي أبت الانتظار ..فأسرعت في المغادرة ..ولحق بي أحمد وأنا على السلم...

أحمد: لورا .. لم تذهبين الآن؟

لورا: آسفة شعرت ببعض التعب أحتاج إلى الذهاب إلى منزلي...

أحمد: حسناً سأطمأن عليك لاحقاً...

وأكملت نزولي فإذا بي أجد من ينادي باسمي في نغمة كلها شماتة...

لورا: ماذا تريدين؟ ... هنيئاً لك لقد ربحت ولن تريني بعد اليوم.

وركضت على السلم بعدها مسرعة، ولم أهتم بسماع ما كانت تود قوله، وعندما ذهبت إلى منزلي أقنعت والدي بأن تلك المدرسة ليست من مستواي، وأنه يجب أن أنتقل منها وأن ألتحق بمدرسة للموهوبين مثلي، وكعادتهم لم يرفضوا طلبي رغم غرابته وغرابة توقيته، وفي اليوم التالي ذهبت بسيارة والدي لأنقل ملفي من المدرسة

لم أرد الدخول إلى المدرسة مع أبي، ولكن لا أعلم لم اشتقت إلى نظرة أخيرة، فنزلت وما إن وطأت قدماي المدرسة حتى وجدت أحمد وسالي يجلسان سويةً ويضحكان...

- أهكذا هي النهاية حتى لا تفتقدونني... لا تشعرون بوجودي... أهكذا وجودي مثل عدمه حسناً لن تروني ثانية أو ربما سترونني، ولكن في أحلامكم المزعجة، وانتقلت بالفعل لمدرسة أخرى وحياة أخرى حياة مملة بين آلات أجل آلات...فهم ليسوا بشراً .بل هم الموهوبون الأذكياء...الذين لا يفعلون في حياتهم إلا كما أفعل أنا القراءة، والمذاكرة، لم أستطع حتى مصادقتهم ولا الحديث معهم فهم لا يتحدثون، لذلك عدت رغماً عني لسجن وحدتي، وسجنت عقلي كذلك في الكتب

والمذاكرة، وسجنت قلبي في مكان واحد، هو تلك المدرسة، ومرت سنون كثيرة كلها مملة تلك السنون، التي لم أمر فيها حتى بشارع المدرسة، ولم أعرف هل بقي السبعة أصدقاء على حالهم أم تفرقت بهم سبل الحياة؟ لم أسمع عنهم إلا أخباراً قليلة عن طريق الصدفة، وفي مدرستي الجديدة كنت أحصل على المركز الأول دوماً في صف البيولوجي، فلقد بهرني عالم الأحياء منذ صغري، وبهرني أكثر تركيبته، وأسراره، بهرتني الخلية الحية، بهرني كيف يتكون الحامض النووي الضخم المصغر ملايين المرات... ليكون في جزء لا يرى من الخلية الحية.

- كيف يحمل الحامض النووي كل صفاتنا؟ وكيف تُدرس هذه الصفات؟ وكيف يشارك الحامض النووي في كل شئ ويتحكم حتى بانفعالاتنا؟ كيف يشارك في صناعة البروتينات التركيبية لتحديد كل شيء؟ كل ما فينا في جزء لا يرى من الخلية.

تخرجت من المدرسة والتحقت بكلية العلوم، وأنا الآن قد حصلت على درجة الدكتوراه العام الماضي في مجال الجينات الوراثية، والحامض النووي وتحديداً في مجالات قريبة من الاستنساخ، وتغيير بعض صفات الحمض النووي...

كل ذلك رغم صغر سني في هذا البحر العلمي الواسع ولكن كل شيء انهار في لحظة....

***

-8-

وبعد أن حصلت على درجة الدكتوراة، ظللت فترة قصيرة جداً ضمن هيئة التدريس بالكلية، ثم آثرت الانحصار في المعمل؛ فأنا لا أحب التدريس، وأخجل من الوقوف هكذا أمام العديد من الطلاب كما أني أشعر أنني سأتحدث بسرعة، وبشكل علمي بحت فلن يفهم أحد ما أقول... وفي شهر يناير ذهب والدي لأحدى المأموريات التابعة لعمله، ولا أعلم لم أصرت والدتي علي الذهاب معه، لأول مرة في احدى المأموريات، كانت رحلتهما على الطريق البري في سيارة والدي، وكنت في فترة غيابهم أؤثر العمل في المعمل... حتى حلول الليل وفي الساعة العاشرة ليلاً كنت منهمكة بشدة في عملي حتى أتاني اتصال هاتفي من أبي ...

فأجبت: مرحباً أبي ... أنا أعمل الآن.

الصوت على الطرف المقابل: هل حضرتك إبنة صاحب هذا الهاتف؟

لورا: نعم من أنت؟!

الصوت: لقد وجدنا والدك ووالدتك في حادث مؤسف على الطريق...وهما الآن بالمشفى.

لورا : ماذااااااااااااااااااااااااااا؟!

ذهبت مسرعة إلى المشفى، ولكني وصلت بعد فوات الأوان ...لقد رحلا ...رحلا معاً وتركاني وحدي ...رحلا معاً وأخذا معهما كل إحساس جيد بداخلي...رحلا ليخلفا من بعدهما وحشة وسجناً بارداً.

زادت وحدتي وتراكمت علي آلامي ...هذه هي الضربة القاضية بحق ...يا الهي ما شعور اليتم هذا؟!

وكأن ظهري قد انقسم إلى نصفين...!

إنه شعور مخيف ...بئر عميقة وقد ألقيت فيها ...وبعد مراسم دفنهما ...عدتُ لمنزلي منهارة، ووحيدة، بقيت أسبوعاً لا أخرج ولا أكلم أحداً... لا أكل ولا أشرب... كم مرة استيقظت من غفوتي مفزوعة، أنادي على أمي!!

ولأول مرة لا تجيب عليّ... كانت تخفف عني كوابيسي، وتربت على كتفي بحنان... وتقول:

- "أنت أقوى من تلك الوحوش التي تركض خلفك، يجب أن تخاف هي منك وليس أنت التي تخافين... عليك أن تكوني أقوى من ذلك يا لورا ...ماذا إذا توفيت أنا ووالدك ؟؟"

ياإلهي... لم أعلم أن يوم الفراق قريب إلى هذا الحد يا أمي ...لكم أشتاق إلى صدرك الآن وحنانك.

أين ذهبت وتركتيني؟ لماذا لم تزوريني حتى الآن في الأحلام؟ ألم تشتاقي إليّ كما أشتاق إليك؟!

وبعد ذلك ظللت جالسة بجوار سريري أخشى النوم عليه ...أخشى من كوابيسي ...وأخشى من وحدتي.. أخشى البشر ...أخشى حتى رأسي وتفكيري... اشتقت حينها لرؤية أبي وأمي كثيراً، فخطر في بالي أن أنظر في ألبوم الصور الموجود بالكومود بجوار السرير، أمسكت بألبوم الصور، وظللت أقلب صفحاته...

- هنا كنا في نزهة وقد قضينا وقتاً رائعاً...

- هنا سافر أبي والتقط لنفسه هذه الصورة...

- هنا في حفل عيد ميلادي الثالث...

حتى رأيت صورة عمرها أكثر من 15 عاماً...صورة لسبعة أشخاص، كنت قد اعتقدت أني نسيتهم ...صورة لمن حولوني إلى ما أنا عليه الآن ...صورة لمن شوهوا طفولتي وشبابي...صورة لمن أسكنوا الحزن في قلبي ...صورة لمن ألقوا بى في ذلك السجن الرهيب ...ألا يستحقون بعد كل ما فعلوه بى عقاباً ما.

...أليس من حقي أن أنتقم؟!...أليس من حقي أن أقتلهم وأحرمهم من الحياة التي حرموني منها ؟! فبسببهم كنت لأصبح الآن إنسانة طبيعية ...وربما زوجة وأم.

تلك السكين التي في صدري سأنزعها، وأغرسها في صدور جثثكم أيها الحمقى، أنتم وحوش أحلامي

أنتم سكان كوابيسي ... ظلت كلمة اقتليهم تتردد على أذني، وظلت تعلو وتعلو حتى صمّت أذنيّ...

أريد أن أهرب من هذا الصوت، فتحت النافذة المطلة على الشارع، علّ ضوضاء الشارع تهدئ تلك الأصوات بأذنيّ، ولكن ما بال هذا الشارع يبدو غير مألوف...المباني تغيرت أشكالها... ماهذا ؟؟ ظل صدري يعلو ويهبط من شدة الانفعال، وقلبي ينبض بشدة ...يا إلهي أشعر وكأنني سأموت ...

ما بال السماء اليوم تبدو شديدة الظلمة؟! ... توقفت كلمة اقتليهم، وبدا وكأن عدة أناس يتحدثون ويهمسون في أذني... إنهم يتحدثون عني يقولون: أني قبيحة ودميمة... التفتت فرأيتهم جميعاً ...أحمد وسالي ...هبه ونوره ... رأيتهم جميعهم يحملون السكاكين، ويريدون قتلي ،فأمسكت بزجاجة المياه على الكومود، وكسرتها وصرت ألوح بها في وجوههم لأدافع بها عن نفسي ... دماء ...دماء في كل مكان ...إنها تتحول للون الأسود إنها تغرقني بداخلها ...لقد تهت في الظلام.

فتحت عيناي ...ما هذا اللون الأبيض الناصع؟ إنه يؤذيني... كيف سقطت في الظلام ثم استيقظت هنا؟! اقتليهم...اقتليهم...اقتلي ...اقتلي.

أين أنا؟ ماهذة الخراطيم المملوءة بالدماء؟ هل استخرجوا شراييني مني؟ إنهم يقتلونني ... صرخت كثيراً ورأيت أناساً بالأبيض يتجمعون حولي ...ماذا تفعلون؟ لماذا تقتلونني؟ لم أفعل شيئاً كنت أدافع عن نفسي ... توقفوا ...مهلاً ... إنه الظلام غرقت مرة أخرى ...هل قتلوني؟! ... هل مت؟! ...

استيقظت في اليوم التالي فوجدت نفسي في غرفة بداخل مشفى، ولكن لا أعرف ما الذي أتى بي إلى هنا؟

أتى الطبيب فسألته: لماذا أنا هنا؟ فأجابني أنه كان هناك شابٌ من سكان العمارة التي أقطن فيها يقف في الشارع، ورآني أفتح النافذة وأصرخ بشدة، فظن أن هناك من اقتحم الشقة ويهاجمني، وعندما كسر الباب ودخل الشقة وجدني ملقاةً على الأرض، وشريان يدي اليسرى يُغرق الأرض بدمي، فحملني وأتى بي إلى هنا وقد أبلغوا الشرطة وأخذوا أقواله، ويريدون الآن أخذ أقوالي...

كيف حدث كل هذا؟! أنا لا أذكر أي شيء ... سرعان ما أتى الشرطي يحمل دفتراً لكتابة أقوالي، ومعه المحقق الذي سيحقق معي، وبدأ المحقق بسؤالي ...

- من فعل بك ذلك...؟ فقلت أني لا أذكر...فأخبرني أنهم وجدوا بيدي زجاجة مكسورة، وعليها آثار دماء وأغلب الظن أنها دمائي أنا...

-هل حاولت الانتحار؟ ... لا أذكر أي شئ ...لا أذكر أي شئ ...لا أذكر سوى !!

-... سوى ماذا؟ ما الذي تذكرينه؟

-(اقتلهم...اقتلهم !!)...

- هاا ...

-لا شئ لا أعرف ما حدث..

-هل الفتى الذي أتى بكِ إلى هنا له أيّ صلة بك؟ هل هو من هاجمكِ وجرح يدك؟

- لا، أنا لا أعرف أحداً.

- هل جرحتي يدك بنفسك؟

- حقاً لا أذكر ذلك ...لا أذكر أي شيء.

تركني وهو في حيرة من أمره، ولكن حيرته نقطة في بحر حيرتي أنا، فأنا حقاً لا أذكر أي شيء، لا أذكر سوى تلك الكلمة التي تتردد في أذنيّ ...مهلاً... بالفعل تلك الكلمة هي الحل ...الحل الوحيد لأتخلص من كل مشاكلي، يجب أن أقتلهم، وأخلص العالم من شرورهم، سأنفذ العدالة فيهم، يجب أن يرتاح العالم منهم، ومن شرورهم...سأقتلهم... سأقتلهم جميعاً.

***

جففت دموعي وبدأت رحلة ربما أستعيد فيها بعضاً من كرامتي التي أهدرت في الماضي، وبدأت تلك الرحلة من البرازيل، وتحديداً حدود البرازيل مع بيرو... حيث يوجد جزء من غابات الأمازون؛ تلك الغابات البكر التي لم يمسسها بشر من قبل، حتى البشر الذين يسكنون فيها يعيشون كما كان يعيش أسلافهم في العصر الحجري... فهم إذا أطلت عليهم مروحية مثلاً، فقد يقذفونها بالأسهم الخشبية التي صنعوها بأدواتهم البدائية من الأشجار. ذهبت إلى هناك وحاولت التعرف إلى بعض المغامرين مرتادي الأمازون، فهي ليست مكاناً آمناً للتنزه، بل هي غابات خطرة جداً؛ فيكفي وجود أكبر ثعابين الأرض وهي الأناكوندا، كذلك كيف يتم تحصين الداخل الى الغابات من

الضفادع السامة أو أيّاً من الحيوانات الخطرة التي موطنها الأصلي هو الأمازون.

تعرفت إلى ثلاثةٍ من المغامرين هم جابرييل لوكاس، ايدواردو جاو، والثالث يدعي بيدرو، كان جابرييل هو الأكبر سناً بيننا، وقد عينّاه قائداً لنا هكذا بالفطرة، فقد أخبرني أنه دخل الأمازون أكثر من مرة، بل أن بعض العضات أو اللسعات لازالت آثارها في جلده حتى الآن، وأخبرني أنه يوجد حدود داخل الغابة لا يستطيع أيّ مغامرٍ أن يتجاوزها، فأخبرته عما جئت من أجله. فقال لي:"أني إخترت حيواناً خطيراً جداً، وعملية إمساكه يمكن أن تستغرق أسبوعاً كاملاً." فأخبرته بخطتي التي جهزتها للإمساك به، فأعجبته كثيراً، كذلك أخبرته أني على استعدادٍ لدفع أي مبلغ يريده هو ورجاله من أجل الحصول على ذلك الحيوان. كنت أعرف أن أكثر ما سيغريهم هو المال، وبالفعل تم الاتفاق، والتقينا في اليوم التالي حيث أتوا بسيارتهم إلى الفندق الذي أمكث فيه، صعدت معهم بالسيارة، وقاد ايدواردو حتى أطراف الغابه حيث ينتهي الطريق الممهد، وهناك أخبرنا جابرييل أن علينا النزول... وأحضر لنا بذلات خاصة وخوذات، وفهمت منه أن تلك البذلات يمكن أن تحمينا من الضفادع السامة إذا فكرت بالهجوم علينا؛ لأن الضفادع هنا يمكن بسهولة أن تقضي علينا إذا لامست جلودنا... يمكن أن تسبب لنا أولاً الشلل الفوري ثم الموت بالطبع كذلك، فالبذلات مجهزة لربط الأسلحة فيها، لأن القرود هنا يمكن أن تخطف أيّ شيء، وتتركنا بلا أسلحة بالإضافة للبذلات... كان لكل منا نظارة رؤية حرارية. جهز ايدواردو وبيدرو المؤن اللازمة للرحلة، ووضعوها في صندوق كبير... ووضعوا مع المؤن علبة كبيرة من مضادات السموم المختلفة، سرنا من أطراف الغابة مسيرة

يومين... فالقيادة ودخول السيارات ممنوع كذلك. فالسيارات هدف سهل وملفت للكثير من الحيوانات، كنا حريصين على السير بهدوءٍ شديد، وعند التخييم كنا نحوط الخيم، ونرش على ملابسنا نوعاً من المبيدات الحشرية... حتى يمنع عنا البق والخنافس وغيرها من الحشرات، وكنا نتناوب على الحراسه للحماية من العقارب والضفادع والثعابين وغيرها من الحيوانات الليلية التي قد تباغتنا ونحن نيام. بعد يومين وصلنا إلى نقطة تكاد تكون مظلمة من الغابة، على الرغم من أن ساعتي كانت تشير إلى الثانية عشرة ظهراً، ولكن أوراق الأشجار الكثيفة كانت تحجب 80 % من ضوء الشمس، فقمنا بارتداء النظارات الحرارية، وأخبرني ايدواردو عندما رأى نظرة الدهشة على وجهي...أنه إذا تعمقنا أكثر فلن نرى أكفنا... وذلك لأن ضوء الشمس في بعض البقاع يُحجب بنسبة 99%؛ فهي مناطق لم ترَ نور الشمس أبداً .

أشار لي جابرييل بالاقتراب، وأخبرني أن هدفي يعيش هنا، بالطبع لأنه كائن ليلي، هدفي هو الديسموديوس روتديوس... إنه الخفاش مصاص الدماء، أبيض الجناحين؛ فهو مخلوق ماكر، ورقيق لدرجة أن ضحاياه غالباً لا يشعرون به وهو ينشب أنيابه الحادة في أجسامهم ليتلذذ بشرب دمائهم الحارة الطازجة، ويحتوي لعابه على مادة تمنع تخثر الدم، وتسبب الخدر للمنطقة النازفة في جسم الضحية والتي استخرجت منها مادة الدراكيولين التي تستعمل لعلاج الجلطات وهي أقوى 20 مرة من أي مادة أخرى مانعة للتجلط [1]

---

[1] * helper l .2011 research say bat could aid stroke victims –the Columbus dispatch

الديسموديوس روتديوس لا يختلف في الشكل كثيراً عن الخفاش العادي، ولكنه يفتقد إلى النسيج الجلدي الذي يغطي المنخرين، لذلك يكون أنفه عارياً، ومحاطاً بأخدود على شكل نصف دائرة، ويكون مزوداً بخلايا استشعار تساعده كثيراً في تحديد المنطقة بجسم الضحية التي يكون فيها مجري الدم أقرب إلى الجلد ليقوم بجرحها... هو فتاك لحدٍّ لا يوصف؛ بنيته قوية، أذناه تشبه أذنيّ الفأر واسعة تلتقي وتلتحم فوق رأسه، ذلك النوع هو من أسرع الأنواع، وأكثرها خفة، ورشاقة، وقوة فهو يستطيع الجري على الأرض إلى جانب الطيران بسرعة، قد تصل إلى سبعة كيلومترات في الساعة، ويمكنه الحركة في عدة اتجاهات مثل؛ العنكبوت... وأعظم مواهبه هي: القدرة على القفز إلى ارتفاع عالي بواسطة عضلاته القوية، فقفزة سريعة لا تستغرق جزءاً من الثانية... حيث يمكن أن تصل القفزة إلى ارتفاع أربعة أقدام، وهو يتناول في وجبته الواحدة أكثر من نصف وزنه من الدماء

يمتص الدماء عن طريق أنيابه الحادة، التي تصنع جرحاً صغيراً طوله 7 ملم، بعمق 8 ملم ثم يحقنه بلعابه المخدر المانع للتخثر، فيتدفق الدم بلا انقطاع، وغذاؤه الأساسي: هو الخلايا والصفائح الدمويه، أما البلازما فيطرحها خارج الجسم، وهو يحتاج لتناول وجبة كل يومين أو ثلاثة وإلا مات جوعاً.

قرأت عنه كثيراً وعرفت كيف يحاول أن يمتص دماء ضحيته أثناء نومها، لذلك كنت قد أخبرت بيدرو في اليوم السابق للرحلة...أننا نحتاج لدمية تشبه الإنسان، وأن يمتد

بداخلها ما يشبه الأنبوب البلاستيكي، ونملأ ذلك الأنبوب بالدماء، وننتظر حتي يشتم أحد الخفافيش رائحة تلك الدماء... فيقوم بالهجوم وهو يستغرق 20 دقيقة لإنهاء وجبته، وبالفعل جعلنا الدمية ترقد كأنها انسان يغط في النوم، ومددنا بداخلها الأنبوب وجعلناه يظهر من الدمية في بعض المناطق حتى يشتمه الخفاش سريعاً، وأخيراً وقع أحد الخفافيش في شباكنا التي نصبناها فوق الدمية وتمكنا من الإمساك به، ووضعه بداخل قفصه، فلحظة الصيد هي اللحظة الوحيدة التي ينفصل فيها الخفاش عن مجموعته، أخبرت جابرييل أننا لن نتخلص من الدمية الآن لأني أريد الإمساك بخفاشين آخرين، وبعد بضع ساعات أمسكنا بالخفاش الثاني، وهو مصاص الدماء مشعر القدمين، وتركنا الدمية أيضاً كما هي حتى منتصف الليل... حيث أمسكنا الخفاش الثالث، ووضعنا كل خفاش منها بقفصه وقررنا ألا نبيت تلك الليلة بهذا المكان حتى لا نكون فريسة للخفافيش أو غيرها؛ فالعتمة هنا خطرة جداً فاقترح ايدواردو أن نسير قليلاً بعيداً عن الظلام، ورغم التعب الشديد...سرنا لمدة ثلاث ساعات تقريباً ثم قررنا التخييم. وفي أثناء مناوبة بيدرو استيقظنا على صوت صراخ شديد، فركضنا لخارج خيمنا، ووجدناه يرتجف من شدة الألم، وذلك لأنه تعرض للدغة النملة الرصاصة، فركض جابرييل إلى صندوق المؤن وأتى بعلبة الأمصال، وأعطاه إحداها، ومن ثم أعطاه قرصاً مخدراً؛ لأن ألم اللدغة يستمر ل24 ساعة كاملة، وهو يشبه ألم التعرض لطلقة رصاصة؛ لذلك سميت بالنملة الرصاصة...بدأ بيدرو يهدأ قليلاً، وقرر كلاً من جابرييل

وايدواردو تركه لينام، فمع هذا الألم الحراسة مستحيلة... وقاما برش المبيد مرة أخرى، وتغطية جسديهما جيداً وقرر ايدواردو المتابعه بدلاً من بيدرو، وفي الصباح لم يكن بيدرو قد تحسن كثيراً، ولكنه كان قادراً على السير بصعوبة، واستغرقت رحلة العودة لنقطة الانطلاق مسيرة يومين ونصف حتى عدنا إلى السيارة... صعدنا إليها وقاموا بإيصالي إلى الفندق، وأعطيت جابرييل المبلغ الذي اتفقنا عليه... بعد ذلك قضيت ليلتين مملتين في الفندق، وحجزت طائرة العودة إلى بلادي حاملة كنزي الثمين وهو خفافيشي الثلاثة.

***

أخذت تصريحاً كي أعمل في المعمل في فترة ما بعد منتصف الليل، ولم يرفض رؤسائي أيّ طلب لي فهم يدركون مدى اجتهادي في العمل ثم أحضرت الخفافيش إلى المعمل ليلاً، وبدأت في العمل كان ذلك الخفاش أبيض الجناحين، عنيداً جداً وكانت الصعوبة تكمن في كيفية تشريحه، ظللت جالسةً أمام قفصه أتأمله، لم يتحرك بل ظلَّ ينظر لي هو الآخر، رغم أني أعلم أنه أعمى، إلا أني ظننت أنه يراني، بل يرى أعماقي لم أجد سوى وسيلة مخادعة نوعاً ما، لتخديره، وهي بحقن المخدر في فأر من فئران التجارب النقية، والتي لم يسبق أن أجريت عليها أيّ تجارب، وصحتها ممتازة، فهذا هو غذاءه المفضل، وألقيت بالفأر في قفصه ظل يشتمه في البداية، و كأنه يقول لي: أنا لا أثق بك... وعندما لم يجد مفراً من الجوع امتص دماءه، رأيت عيناه البنيتان قد تغيّر لونهما للون الأحمر قبيل أن

يشرع في مص دماء الفأر، وما أن أجهز عليه أغشي عليه في الحال، أخرجته من قفصه بحرص، وفصلت رأسه لأبدأ تشريحه بهدوء... كان يمتلك أنياباً حادةً وقويةً جداً لتمزيق اللحم، وسحق العظام...

استخرجت قلبه بسهولة، فرئتيه أسفل رأسه مباشرة، وفي الداخل كان قلبه لا يزال ينبض... رغم الذبح

أخذت حقنة دم من قلبه، وأضفت عليها محلول يعمل على تكسير خلايا الدم الحمراء اللانووية، وترسيبها والمحلول الثاني لتكسير خلايا الدم البيضاء النووية الموجودة في المحلول الرائق، وأضفت محلول ثالث؛ وهو مكون من كبريتات الأمونيوم، ويعمل على التخلص من البروتينات الناتجة من تكسر الخلايا ليتم ترسيبه، وتتم إذابة الحامض النووي (DNA) المترسب بعد التخلص من البروتينات في المحلول الرابع المحفز لتفاعلات البلمرة المتسلسلة، وبهذة الطريقة تمكنت من استخلاص الحامض النووي من دم الخفاش[2]

نقلت الحامض النووي إلى طبق زجاجي، وأضفت إليه صبغة أزرق الميثيل من أجل أن يتلون، ويتم تمييزه ثم تركته لمدة خمس دقائق، بعد ذلك خففت الصبغة بواسطة الماء المقطر ثم استخدمت جهاز الـ(DNA sequencer) [3]هو جهاز

---

[2] طريقة توصل إليها فريق من العلماء المصريين لفصل الحامض النووي من الدم وحصلوا علي براءة اختراع لتلك الطريقة

[3] آلة تنفذ مجموعة من التفاعلات الكيميائية التي طورها العالم البريطاني فريد سانجر الحائز علي جائزة نوبل ويمكن القراءة عنه بالتفصيل في المراجع ص240

يفكك الحامض النووي، ويعطي ترتيباً واضحاً للقواعد النيتروجينية في هيكل سكر فوسفات؛ ولأن الثديبات متشابهه جداً في شكل الجزيئات فبمساعدة قاعدة البيانات الخاصة بمشروع الجينوم البشري [4] تمكنت من معرفة ترتيب القواعد الخاصة بصفات الخفاش التي أريدها، وهي السرعة وقوة القفز، ونسبة صبغة الميلانيين، والتي يمكن أن تغيّر لون العينين، ونسبة الكيراتين، والبايوتين، وبالطبع الصفة الأهم بينها، والتي أبحث عنها، وذهبت للبرازيل من أجلها، واستخلصت جينات تلك الصفات من الحامض النووي، وبالاستعانه بجهاز كريسبر كاس 9 [5] قمت بتكوين خلايا معدلة وراثياً، هذه الخلايا إذا تمّ حقنها إلى الإنسان؛ فإنها ستغير من ترتيب الحامض النووي في خلاياه الأصلية، وبالتالي تكوين خلايا جديدة تماماً.

أخذ الأمر مني في البحث أسابيع عدة، ولكني أتممت كل شيء، وكما فعلت مع أبيض الجناحين... كذلك فعلت مع أخويه؛ العادي، ومشعر الجناحين، ولكن استثنيت بعض الصفات التي أخذتها من أبيض الجناحين، وقمت بتكوين محقنٍ معدٍ للخلايا المعدلة.

كنت أعمل في الليل وبدأت أكتب تلك الكلمات على ورقة؛ فأنا لا أعلم نتيجة ما سأفعله... ربما أثرَّ الأمر على عقلي ...إنها الواحدة بعد منتصف الليل ...وتلك الحقنة في يدي.

---

[4] هو مشروع بحثي بدأ العمل به سنة 1990 وأعطيت نتائجة النهائية عام 2003 ويمكن القراءة عنه بالتفصيل في المراجع صفحة

[5] المراجع نفسه ص 240

لا أعرف نتيجة ما سأفعله بنفسي ...ولكني أعلم أني سأرتاح ...إن لم يكن بالموت...فبطريقة أخرى

ووضعتها على ذراعي ...وأدخلت الإبرة في وريدي ...وضغطت على المضخة.

الفصل الثاني

-9-

لقد استسلمتِ لذاتك في تلك الليلة

أتذكرين ؟؟

ليس لدي دليل أقوى

..

***

اسمي أحمد هاشم السيد، عمري الآن 28 عاماً لم أهتم يوماً بسرد ما حدث في الماضي، فطوال حياتي لم أكترث لشيء، لا للحزن فلن تدوم أسباب الحزن ولا السعادة؛ فالحياة خليط بين هذا وذاك، والهموم دوماً ما تزول بابتسامة تلك الهموم مثل: الحمل الذي كلما بقيت أحمله زاد ثقلاً... لذلك عليّ ألا أحمله، أؤمن بتلك المبادئ كثيراً فلطالما حللت أموري الشخصية، وحتى أمور العمل بالابتسامة، والحب، والتفاؤل رغم ذلك الكابوس المزعج الذي أبتسم في وجهه يومياً رغماً عني، لكنه لا يتركني، ويذهب أبداً ... حياتي إن حكيت ما حدث فيها فسأحكيه، هكذا في سطور قليلة... بدايةً ولدت في مدينة

ساحلية رائعة هي الإسكندرية ولكن انتقلت أنا وعائلتي لظروف عمل أبي لمدينة أخرى...

كنت حزيناً جداً لأني تركت مدينتي، ومدرستي، وأصدقائي، كانت مدرستي القديمة تطلّ على شاطئ البحر، كنت عندما أخرج من بابها أشعر بنسمات البحر تلسع وجهي ببرودتها، وكأنها قبلات أمي عندما تودعني في الصباح ...كان ولازال ذلك الشعور يأسرني حتى الآن، ولازلت أشم للبحر هناك رائحةً مميزة، ليست رائحة السمك لا إنه عبق البحر ذاته، كنت آمل في الماضي أن أصير بحاراً وأمضي بقية حياتي في هذا المخلوق الرائع، ولكن شاء الله وانتقلت، كنت خائفاً من تلك المدرسة الجديدة، أتذكر عندما دخلت الفصل الدراسي لأول مرة، ظلّ الجميع يحدق بي، وكأني كائن غريب ليس من البشر، لم أكن أحسن تكوين الصداقات، ولم أعتد على تلك المدرسة بسرعة حتى رأيت تلك الفتاة لأول مرة، رأيت كابوسي المزعج الذي لا يزال يطاردني حتى الآن...

قمة القبح والتفاهة مجتمعان في شخصية واحدة، كنت أكرهها بشدة ولازلت ...إنها سالي ...أتت هي لي وعرفتني بنفسها، وظلت تصرُّ عليّ أن أجلس معهم، وأن أصبح من ضمن مجموعة أصدقائها، وبالفعل ذهبت... كانوا ستة أشخاص يجلسون على مائدة واحدة من البنات والأولاد، فجلست معهم، كل أحاديثهم كانت تافهة لا معنى لها.

كنت أشعر بالغثيان وأود أن أذهب بعيداً عنهم حتى رأيتها، أودع كائن رأيته في حياتي، جاءت وفي نظرتها ذعرٌ وخوف لا

أعرف مصدرهما، كانت نحيفةً ترتدي نظارةً ضخمةً تخفي ملامح وجهها، تحمل الكثير من الكتب الضخمة أيضاً، ظننت أنها ستقع منها في أيّ لحظة... كانت جميلة برغم كل ذلك، وكانت ستزداد جمالاً وإشراقاً إذا سمحت لحاجبيها المقطبين بالتنفس، وخلع تلك النظارة الضخمة التي تجعل شكلها مضحكاً بعض الشيء وما إن اقتربت حتى نهضت سالي لتصرخ في وجهها...

سالي: لم تأخرت يا لورا؟ أنت تعلمين أننا سنجتمع اليوم وقد تأخرت!

لم تستطع الرد عليها فعلى ما يبدو أنها كانت خائفة منها، تأثرت كثيراً لنظراتها المستغيثة فنهضت من فوري لأوقف ذلك الطوفان الذي اندفع في وجهها، ومنعت سالي عنها، بعد ذلك جلست بهدوء... كانت لا تستمع مثلي لأحاديثهم التافهة بل فتحت أحد الكتب التي كانت معها لتقرأها في صمت، سعدت كثيراً لأني وجدت أحداً هادئاً يمكنني التحدث معه...

أحمد : هل ستنهين هذا الكتاب الضخم اليوم؟

لورا : ربما فأنا لا أمل من القراءة ...

أحمد : لِم لا تشاركين في الحديث؟

لورا : أنا لا أفقه فيما يقولون شيئاً.

أحمد : أتعلمين؟ أنا مثلك قد مللت.

لورا : بالمناسبة... شكرا لأنك أسكتها.

أحمد : لم كنت خائفة منها هكذا؟

لورا : لا أعرف ... لكني لا أعرف كيف أردُّ عليها وهذا مايجعلني أتوتر.

أحمد : لا عليك بعد الآن ...إذا صرخت بوجهك نادني فقط وسأوقفها.

ابتسمت حينها ابتسامة خجلة وعادت لكتابها، بعد ذلك أردت أن أتقرب منها أكثر، وذات مرة وأنا أنزل الدرج

سمعت صوتً موسيقى عذبةً، تتبعت الصوت حتى أوصلني إلى حجرة الموسيقى، ووجدتها بالداخل وظللت واقفاً لفترة أفكر :يا الله كيف تجتمع كل تلك الرقة والوداعة في إنسانة واحدة؟! ويوماً بعد يوم وجدتها تهديني هدية عيد ميلادي، ذلك الحدث جعلني أعترف لذاتي بأني أحبها، لا أعرف كيف؟! ولكني أعلم جيداً أني لم أتسرع في ذلك الشعور... وشعوري ليس مجرد إعجاب طفيف، بل هو الحب ذاته، أعلم ذلك وأيقنت ذلك تماماً كانت هادئةً، خجولةً، طيبةً، متسامحةً، عبقريةً، كانت رائعة... حتى اسمها كان يذكرني بنسمات البحر تلك. ترى أين هي الآن؟ إلى أين وصل بها الحال؟ هل لازلت تذكرني كما أذكرها؟! لا أعلم، بعد أن رحلت شعرت بألم شديد في قلبي، فقد وصلني الخبر فجأة، فلقد غادرت المدرسة مباشرة بعد ليلة عيد ميلادي، ولم أعرف السبب ظننت في البداية أنها متغيبة بسبب أنها كانت متعبة، لكن اكتشفت بعد ذلك أنها انتقلت... شعرت حينها أني فقدت كل ما يربطني بتلك المدرسة.

ورحل قلبي مع رحيلها، وعندما انتقلت للمدرسة الإعدادية رغبت في تعلم الرياضة التي كانت تمارسها، رياضة الشيش في نفس النادي الذي كانت تتمرن فيه، لعلي أقابلها ذات مرة، ولكنهم للأسف رفضوا انضمامي لا أذكر سبب رفضهم حالياً، ولكني انضممت لنادٍ آخر، وتمرنت وصرت جيداً، وتفوقت على كثير من زملائي تخرجت من كلية إدارة الأعمال وأسست مشروعي الخاص، وسرعان ما كبر مشروعي في 3 سنوات، وأصبحت شركتي الخاصة تنافس شركات كثيرة في نفس المجال، أصبحت في أعين الناس رجل أعمال مرموق، لكني لازلت أتساءل... لِم لم أسمع خبراً عن لورا حتى الآن؟! لقد كنت أتوقع لها مستقبلاً باهراً، كنت أتصورها زوجة لملك أو أمير يستحقها، فمن أنا لتحبني أو تنظر إليّ... لازلت أحتفظ بوشاحها الذي أهدتني إياه عندما كنا في زيارة للأهرامات، ناديت باسمها كثيراً ولم تأت... لم تأت... لتخلصني من كابوسي، من تلك العلقة التي تمتص دمي... لتخلصني من سالي... فما أن بدأت أعمالي في شركتي تزدهر حتى ظهرت هي ووالدها من حيث لا أعلم وصادقا أبي بسرعة ولا أعرف كيف أقنعاه بفكرة خطبتي منها، أجل سالي التي أبغضها منذ أن كنا صغاراً هي الآن خطيبتي... للأسف لم أملك حينها أن أعترض، خاصةً لمرض والدي؛ فهو مهددٌ بغيبوبة في أيّة لحظة بسبب مرضه.

أنا أخاف عليه كثيراً؛ لذلك لم أعترض... فأنا أخشى أن أفقده، خاصة بعد أن توفيت أمي كذلك بسبب المرض.

ولكني أتمنى أن أقابل فتاة مثل لورا، و أتمنى أن أجعل أبي يتعرف عليها، سيعرف كيف تكون الرقة والحنان وسيراهما مجتمعتين في شخصٍ واحد، ولكن ترى هل توجد الآن من هي مثل لورا؟! لا أظن... يا إلهي أخرجني من هذا الكابوس أرجوك....

***

-10-

حقنت وريدي بتلك الحقنة كنت خائفة من تأثيرها... هل ستؤلمني؟...هل ستقتلني؟ ولكن تغلبت على خوفي وضغطت على المضغة، ولكني لم أشعر بشيء للوهلة الأولى، لم تمر سوى 5 ثوان، ولم أشعر بشيء فحملت بعض الأدوات لأعيد ترتيبها ولكنها سقطت من يدي، وتحطمت لأني شعرت بنغزة قوية في قلبي، عندما دق

وكأنه يدق للمرة الأولى، ما لبث الألم أن ذهب حتى عاد مع الدقة التي تليها، ولكن هذه المرة لم يذهب بل استمر الألم في قلبي وصدري... وظلَّ يتوغل إلى أطرافي، أشعر أني فقدت السيطرة على جسدي، أشعر وكأن صدري قد انقسم إلى نصفين من شدة الألم... ثم تشوش بصري، فلم أعد أرى أمامي، حاولت الاستناد على المنضدة إلى جواري، ولكني لم أحتمل، وفقدت وعيي... لكني لم أفقد وعيي بشكل كامل، كنت بين النوم واليقظة...

وكأني من شدة الألم بين الحياة والموت، رأيت حلماً جلياً؛ رأيت ومضات من حياتي كلها... رأيت وجه أبي وأمي ينظران لي بدهشة، ثم رأيت نفسي أسقط من فوق برج عالٍ، ولكن لم يستقر جسدي على الأرض بل سقطت بداخل تابوت، وسقط فوقي غطاء التابوت، ظللت أصرخ، وأحاول رفع الغطاء لكنه كان ثقيلاً، ولم أستطع رفعه... حتى خارت قواي، كان ذلك الحلم جلياً كالأحلام التي من شدة تأثيرها علينا، نعتقد لوهلة أنها حقيقة...

خارت قواي بداخل التابوت، وفقدت وعيي مرة أخرى، ولكن هذه المرة بشكل كامل كنت أظن أني مت

وأن حياتي البائسة قد انتهت...وأني قد دفنت بالفعل، ولكن أين الحساب؟ لم لم أحاسب بعد؟! عندها بدأت روحي بالعودة إلى جسدي، وبدأت أستفيق ببطء، لم أكن بكامل صحتي عندما استفقت، ولكني جاهدت للحفاظ على توازني حتى أتمكن من إخفاء آثار ما حدث، بعد ذلك أخذت حقيبة يدي، وعدت بسيارتي إلى منزلي أو بالأحرى الفيلا الخاصة بي، والتي اشتريتها بميراثي...فيلا صغيرة في مكان غير مأهول بالسكان، تعمدت أن أجعل ستائرها وفرشها باللون الأسود... فقد تعودت على الأحزان، وأصبحت آلف هذا اللون من بعد فراق والديّ فأصبح شكلها كئيباً مخيفاً، يُنزل الرهبة بمن يدخلها للوهلة الأولى، عدت لمنزلي وصعدت إلى غرفتي واستسلمت للنوم.

لا أعلم كم من الوقت مضى وأنا ممدة على سريري، ولكني استيقظت في عصر اليوم التالي، ظللت جالسة على السرير لأني

لازلت لا أتبين ما أمامي بعد... حتى استفقت من النوم تماماً، فوجدت أمامي امرأة شديدة الجمال، عيناها الزرقاء، شعرها الأسود اللامع، بشرتها البيضاء، والتي يظهر من تحتها شرايينها الدقيقة الحمراء، ظللت أتأملها... ولكن من هذه؟ وكيف جاءت إلى غرفتي؟! ولم انتظرت كل ذلك الوقت، مهلاً إنها ترتدي رداء المعمل... هل هي زميلة لي في الكلية؟! ولكني أول مرة أراها... نهضت لأسألها عن نفسها فنهضت هي بالمقابل، وما أن اقتربت منها حتى اصطدمت بذلك السطح اللامع، مهلاً هل كل هذا الوقت كنت أحدق في المرآة...!

***

-11-

ظللت أحدق بنفسي قليلاً... أيمكن أن تكون الجينات هي سبب ذلك التغيير في شكلي ؟! تأملت جيداً في ملامح وجهي، فوجدتها لازالت كما هي، ولكن شعري لم يعد مجعداً كالسابق بل صار أملساً لامعاً... ولكن لون عيناي قد تغير... لقد أصبحت زرقاء، لم يكن للخفاش أعين زرقاء، لكن نسبة صبغة الميلاتونين في دمه قليله عن نسبة الميلاتونين في دمي، أنا أعلم أني أخذت الجينات الخاصة بنسبة الصبغة، لكن لم أتصور أن تؤثر علي إلى هذا الحد! وكذلك أثرت على لون جلدي؛ فأصبح شديد البياض حتى أن شرايني القريبة من سطح الجلد أستطيع رؤية نهاياتها الدقيقة الوردية، ووجهي لقد اختفت منه أثار الحبوب، والهالات السوداء وأصبح أكثر نضارةً واشراقاً... أيعقل إن كنت فعلت ذلك بدون الجينات كنت سأصبح هكذا؟! أعني إن كنت عالجت شعري وبشرتي، ووضعت عدسات لاصقة كنت سأصبح هكذا؟؟ ولكن أين تأثير الجينات الذي كنت أريده؟ أين قوة العظام والسرعة الشديدة؟ فذلك الخفاش لم نكن نراه بسهولة، عندما كنا نحاول آسره، فقد كان يتحرك ويطير في جميع الاتجاهات، مثل:

العنكبوت... وكان يركض بسرعة شديدة، ولكن مهلاً أشتم رائحة غريبة لأول مرة أشم تلك الرائحة.

شيء ما يجذبني تجاه النافذة، ذهبت باتجاه النافذة، وفتحت الستائر... رأيت حمامةً صغيرةً تقف على طرف النافذة...

تأملتها قليلاً أما هي فانجذبت نحوي أمسكت بها برفق، عندما لمستها أحسست بشعور غريب شعرت بنبضات قلبها، سمعت نبضات قلبها تدوي في أذنيّ بشدة شعرت حتى باتجاه اندفاع الدم في أوردتها... من أين تنبع حرارة جسدها؟ شعرت وأني قد اقتحمت كيانها، وجدت نفسي أمسك بها وأغرز بها أسناني وامتص دمائها حتى آخر قطرة، لم أكن أشعر بنفسي، وفقدت السيطرة على حواسي، وكانت تنتابني شهوة غير طبيعية لدمائها وأرغب بالمزيد منه، ولكن عندما عدت لوعيي تركتها من هول ما فعلت بها، فسقطت جثتها على الأرض وضعت يدي على فمي من الدهشة... هل أصبحت مصاصة دماء مثل ذلك الخفاش؟!...حاولت أن أقنع نفسي بأني أحلم، أجل هذا مجرد حلم، ثم عدت للتحديق في المرآة...فكذبت عقلي، قطرة دم انحدرت من جانب فمي وكذبني فمي الملوث بالدماء.

لتعلن لي الحقيقة؛ لقد أصبحت أول مصاصة دماء حقيقية على هذه الأرض، ابتسمت من الدهشه، ولكن أين باقي الصفات لن أعرف إن حصلت عليها إلا بالتجربة، كانت لدي في الفيلا حجرة واسعة جداً مثل حجرات التدرب على الرقص

الواسعة أو الصالات الرياضية بالمدارس، فقد كانت واسعة جداً، وتقع بالطابق الأول

وتعلو لطابقين أي أن سقفها هو سقف الطابق الثاني، وكانت توجد بالطابق الثاني نافذة كبيرة بالداخل، تطلّ على تلك الصالة، أما الحجرات فكانت أيضاً واسعةً جداً بشكل مبالغ فيه... فحجرتي مثلاً لا أعرف مساحتها ولكنها ربما بمساحة منزلي القديم كله، وربما أكبر، ويوجد بها حائط... عبارة عن مرآة بالكامل، ويوجد في منتصفها جزء مرتفع عن مستوى الأرض، وضعت عليه سريري، وعلى اليسار اشتريت بيانو لأشكو إليه همومي، وكانت لحجرتي غرفة تشترك معها حجرة أخرى، وتطلّ على حديقة الفيلا الصغيرة، دلفت للصالة الواسعة، والتي وضعت بها سيفين لأتدرب على الشيش، ولم أضع بها سوى منضدة مربعة صغيرة في أحد الأركان، والآن سأجرب صفاتي الجديدة، واكتشفت أني اكتسبت الكثير من صفات ذلك الخافش دون قصد نتيجة دخول بروتيناته التركيبية ضمن بروتيناتي مما نتج عنه تراكيب جديدة؛ فبالتالي جينات جديدة... فمثلا اكتشفت أني أصبح لدي القدرة على التخاطر، واكتسبت سرعته، وقوة عظامة، فلقد جربت القفز من نافذة الطابق الثاني إلى الصالة، وهبطت وأنا أقف دون أن يحدث لي أيَّ شيء، والآن أصبحت جاهزةً ومتمكنة من كل ميزاتي الجديدة أصبحت جاهزة للصيد...

ولكن لن أبدأ بسمكة القرش الآن بل سأبدأ بالسمك الصغير أولاً>

-12-

يوم الجمعة الأول من فبراير، استيقظت من نومي وأنا في أسعد حالاتي فاليوم هو يوم عطلة شركتي، فردت ذراعي وأنا ابتسم وأفكر ماذا سأفعل اليوم؟ وأين سأذهب؟ ولكن قطع تفكيري... صوت طرقات على باب غرفتي

أحمد : ماذا هناك؟؟

الخادمة : آنسة سالي بالأسفل وتود رؤية حضرتك.

إذن لقد أُفسد اليوم قبل أن يبدأ...دلفت إلى حجرة الاستقبال، وما أن رأتني حتى قفزت من مقعدها...وأحاطتني بذراعيها، وقبلت خدي وهي تقول لي: صباح الخير. لم أحرك ساكناً فقط كنت أقف كالتمثال، وأحدق بالفراغ وبعد أن ابتعدت عني حولت نظري إليها.

أحمد : لماذا أتيتي ؟؟

سالي : ما هذة الطريقة ؟؟ أهكذا تعامل خطيبتك التي تحبك؟؟

أحمد (وهو يضغط على الحروف): لماذا أتيتي يا سالي؟

سالي : عيد مولدك بعد ثلاثة أسابيع وجئت للتجهيز !!

فنظرت إليها نظرة تعجب ممزوجة بالغضب...

سالي : لا تنظر إليّ هكذا، ولا تسئ فهمي، في الحقيقة لم آت لذلك جئت لأراك، لقد اشتقت إليك كثيراً، وأنت لا تسمح لي أن أراك، وكلما هاتفتك تنهي المكالمة بسرعة بحجة أنك مشغول، لقد مرت ثلاثة أشهر، ولم أرك ...أنت خاطبي... لم تعاملني بهذا الجفاء؟

أحمد : هاقد رأيتني يا سالي ... اذهبي.

فبدأت في البكاء ...عندها وصلت لقمة الضيق.

أحمد(محاولاً أن يعلي صوته فوق صوت نحيبها) : لماذا تبكين؟

سالي : لأني أحبك...وأنت تنفر مني.

عندها شعرت ببعض الاشفاق عليها فربتّ على كتفها...

أحمد : حسناً لا تبك.

عندها ذهبت الدموع والنحيب وتحولا إلى ابتسامة عريضة وتعلقت بذراعي.

سالي : اذن دعنا نمضي اليوم معاً ...أليس اليوم هو يوم عطلتك؟؟

ولم تعطني فرصة للاجابة أو محاولة الاعتذار.

خرجت معها وظلت تثرثر طوال الطريق، وأن لا أرد عليها، كنت في عالم آخر كنت أفكر بأمي... هل إذا كانت حية الآن كانت سترضى لي بهذا الوضع؟ هل كانت سترضى لي أن أربط حياتي بامرأة كهذه؟

أتذكر آخر مرة تحدثت فيها معها عن أمور الزواج والحب هذه، حيث كانت ككل أم تتمنى أن يكون إبنها أسعد الناس عندما يتزوج كانت دوماً تحدثني عن أوصاف المرأة التي ستختارها لي ... كانت دوماً ما تحدثني عن الحب... كانت تقول لي:" ألا أتزوج إلا المرأة التي أحبها، ويختارها قلبي، وعليّ أن أحب فتاة طيبة صالحة وأهم شيء؛ أن تكون هي تحبني وتختارني كذلك... وأن تقبلني، وأقبلها بالكامل بعيوبنا، ومميزاتنا وأن أكون لها رجلاً صالحاً ودرعاً يحميها من كل شيء حتى من نفسها إن لزم الأمر... فالمرأة دوماً ما تبحث في الرجل عن الأمان والثقة، وإذا توفرا نجحت أيّ علاقة..." كانت توصيني ألا أظلم تلك المرأة أو أهينها أو أقلل من شأنها أو أخونها؛ فذلك يكسر كرامتها... غرست أمي بداخلي تلك المبادئ منذ أن كنت صغيراً، ولكني لم أجد تلك الفتاة التي تستحق كل ذلك حتى الآن، وأنا الآن مرتبط بفتاة ...لا أعرف كيف أصفها؛ فهي لا يوجد بها أي ميزة لتُحب، حتى أني أصبحت أعتقد أن الفتاة التي كانت تصفها لي، أمي فقط درباً من الخيال والأحلام يمكننا أن نتمناه، لكن لا نصل إليه أبداً، أخرجت محفظة نقودي لأدفع حساب ما اشترته سالي، فرأيت صورة أمي التي أحفظها بداخلها فخانتني عبرةً انحدرت من عيني ورأتها سالي...

سالي : هل تبكي؟!

أحمد : لا ... لقد دخل شيء ما إلى عيني لا عليك...

وانتهت عطلتي البائسة دون أن أستمتع بها ...سامحك الله يا سالي...

***

-13-

" تلك الحياة لا تستحق العناء لذلك علينا أن نحيا كل يوم كما يجب. "ذلك هو شعاري بالحياة ومبدأي الوحيد الذي أسير على نهجه..إسمي سمير علي أحمد ...عمري 27 عاماً عندما يسألني أحداً ما: ما هو عملك؟

فأجيب بكل بساطة أعمال حرة، فتلك هي الحقيقة، كنت في الماضي طفلاً مدللاً جداً، ولدي أختان كانت أمي تدللني على حسابهما، فكانت تنهرهما على أي خطأ صغير... أما أنا فكان كل شيء مباحاً لي، كان أبي رجل أعمال له صيت جيد، عمله كان مزدهراً، وربحه وفير، وعندما توفي وذلك منذ شهرين ترك لي الجمل بما حمل؛ ترك لي نقوداً كثيرةً أستطيع أن أنفقها فيما أشاء، في الحقيقة لا أعشق الإنفاق إلا على الحسناوات أحب كثيراً تمضية الوقت مع الفتيات، وأن أمرح معهن، نذهب للسينما والفنادق وحتى النوادي الليلية، أعلم أنهن لا يحببنني ، ويحببن مالي، لكني أشتري سعادتي معهن بالمال، وهن قد رضين بالمال ثمناً لوقتهن، أنا لا أضرُّ بهن، نحن فقط نستمتع بوقتنا معاً في الأماكن العامة، وعندما أملُّ من إحداهن أقطع علاقتي بها لأبحث عن أخرى؛ فأنا كالطائر الذي لا يحب البقاء على غصن واحد، وأعشق حياة الترحال، واليوم قد قطعت

علاقتي بإحدى الفتيات، وأردت أن أرى فتاة جديدة لتمضية الوقت معها وكانت هناك حفلة في فندق...فذهبت إلى

هناك لعلي أجد ضالتي، وعندما كنت هناك التقيت ببعض الأصدقاء، وشاركتهم طاولتهم، وظللنا نتحدث ونمزح حتى رأيت القمر ينزل من عليائه ليدخل إلى ذلك الحفل...

صديق1 : أتراها؟... تلك إلى يمينك.

سمير : يا إلهي... هل هي حقيقية أم أنني في أحد أجمل أحلامي؟!

صديق 2 : سمير !! هل يمكنك ضربي؟! كي أتأكد أني مستيقظ ...

سمير: سأذهب لمحادثتها.

صديق 1 : ولم ليس أنا من يذهب؟!

سمير : لقد ذهبت للفتاة التي رأيناها منذ ساعة، ولقد وضعتك في موقف محرج للغاية، حتى أن خاطبها كاد يضربك لولا أني أنقذت الموقف...وأنا لا أريد لك أن يتم إحراجك مرتين في ليلة واحدة، كما أنك لا تعرف فن التحدث إلى النساء...

صديق 2 : إذن علمنا أيها الخبير...

سمير : شاهدوا وتعلموا...

صديق 1 : ولكن مهلاً أين ذهبت؟

صديق 2 : ها هي هناك بجوار الشرفة.

صديق 1 : حسناً أيها البطل...

رشفت آخر رشفة من الكأس الذي أمامي وذهبت إليها في الشرفة...وجدتها تستند إلى السور بأحد ذراعيها

فاقتربت منها ثم تصنعت أني أحدث نفسي.

سمير: من الصعب أن يجد المرء موسيقى جيدة هذه الأيام (ثم التفت إليها) أليس كذلك ؟

الفتاة : نعم أنت محق ولكن طريقة جيدة.

سمير: عن أي طريقة تتحدثين؟!

الفتاة : أليست تلك محاولة للتعرف إلي؟! لا تندهش فأنا أستطيع أن أقرأ أفكارك ياا.. سمير.

سمير: وتعرفين إسمي أيضاً ...أنت مدهشة.

الفتاة : مسكينة تلك الفتاة التي قطعت علاقتك بها اليوم لقد بكت كثيراً ... كانت تحبك.

سمير: لا ... لا ... لا ... هكذا سأشك في أنك جنية ساحرة تراقبني لأنها تعشقني.

الفتاة : أعشقك ...هههههههه ربما ذات يوم.

سمير: متي إذن ياا ... معذرة لم أحفظ اسمك.

الفتاة : ذلك لأني لم أخبرك به.

سمير: إذن سيسرني أن أعرفه يا جنيتي الساحرة.

الفتاة : اسمي جميلة...

سمير: لم يكذب من أطلق عليك هذا الاسم...

جميلة : أترى حقاً أني جميلة ؟!

سمير : أرى أنك رائعة ... ولكنك لم تجيبي سؤالي متى ستحبينني؟

جميلة : عندما يشاء قلبي ... إذا تقابلنا ثانية فيمكن أن أفكر في هذا الأمر.

سمير: وكيف سأقابلك؟

عندها سارت نحو باب الشرفة ثم استدارت ونظرت لي...

جميلة : عندما يحين الموعد سنتقابل ... سنتقابل حتماً ...حتماً يا صديقي ...حتماً...

***

-14-

قد يمحى من سجل حياتك، ماضيك في أحد الأيام لتسمح لك الحياة بكتابة صفحات أخرى، وفصول جديدة...

لكن عندما تتعلق بك صفحات الماضي كطفيليات تعض لحمك حتى لا يتبقى شيء منك، وتمنعك من كتابة صفحات جديدة، فذلك هو الظلم بعينه، لقد جرحني ما فات، وظللت أتآكل يومياً حتى أصبحت لا شيء، أصبحت فارغةً تماماً، لا يوجد بداخلي سوى صوت مخيف، صوت يؤرقني كل ليلة يأمرني بالقتل والانتقام رغم أن المرء يفقد انسانيته وروحه إذا قتل أحدهم، ولكن لم أعد إنسانة بعد الآن، ولا أملك روحاً من الأساس لأفقدها...

ولم يعد لدي قلبٌ لينفطر، فقد كثرت عليه الأحمال حتى أنفجر، ولا أعرف إن كان باستطاعتي تحمل المزيد أم لا؟!

رغم أني أصبحت أمتلك كل ما يتمناه أي انسان على وجه هذه الأرض، أصبحت ثرية وجميلة وكان مركزي مرموقاً...

أجل كان... فلم أعد أستطيع الذهاب للكلية للعمل بعد الآن، لقد فقدت متعة تلك الأشياء التي أملكها

أبسط الأحاسيس قد فقدتها وضاعت مني، أمس كنت أتدرب على الشيش في منزلي، فجرحت يدي جرحاً كبيراً دون قصد لكني لم أحرك ساكناً لمداواة نفسي، فلم أشعر بالآلم اطلاقاً الذي بداخلي أقوى بكثير، وظللت أنظر لدمائي التي تنزف ببرود حتى تجلط الدم، وأغلق الجرح نفسه بعد أن كاد يتلوث ...وتوقف النزيف

أصبحت أسمع في أذني أصواتاً تنادي ...تنادي بأسمائهم كل ليلة، أصبحت أشعر أن قلبي صار بركاناً يثور. كل ليلة أصبحت أقف أمام المرآة أنظر إلى نفسي في حيرة وأسألها: من أنا؟ ولمَ أصبحت هكذا؟ حتى نغمات البيانو أصبحت غير منتظمة، لم أعد لورا بعد تلك الليلة... بعد ليلة وفاة أبي وأمي، بعد ليلة دخول تلك الجينات إلى جسدي، لقد سجنت لورا في ذلك التابوت المظلم، أزهقت روحها، وسمحت لنفسي بالعيش على رفاتها لقد كبرت بداخلها يومياً، وكانت هي تكبت جماح رغباتي لا أملك دافعاً للحياة سوى الكراهية، قتلت لورا لأعيش أنا...أنا وحدي...أنا فقط.

***

-15-

لقد فتنتني تلك الساحرة إنها جميلة حقاً، كاسمها بل جميلة الجميلات، فرغم أنني أدرك حقيقة أنه دوماً توجد من هي أجمل إلا أنني منجذب إليها بشدة؛ فهي جذابة بطريقة لا توصف... حديثها، حركاتها، صوتها، ذلك الغموض فيها... كل ما فيها آسر وجذاب مهلاً! ما هذا الذي أفعله؟ لم يسبق لي أن فكرت بفتاة قابلتها من قبل...!

حتى أنني كنت أقول لهم كلمة: أحبك...من باب المجاملة والإعجاب أحياناً، لماذا أفكر بكِ يا جميلة؟ ترى هل وقعت في حبك؟ لم أقابلها سوى مرة واحدة فقط، فهل هذا كافي للحب؟ أنا لا أؤمن بالحب من النظرة الأولى

لكن أؤمن بلقاء الأرواح، لم أجرب الحب الحقيقي قبلاً، كل من قابلتهن وعرفتهن كن مجرد تسلية وتضييع للوقت...

لكن لم ينشغل عقلي بفتاة هكذا من قبل حتى أنني كنت أنسى أسمائهن... يقولون: أن حب الرجل يبدأ في عقله...

فهل دخلتي إلى عقلي يا جميلة؟ أم أنك قلبتي عليّ الطاولة؟ وأنت من تعبثين وتتسلين في هذه العلاقة

هل وقعت في ذات الفخ الذي نصبته للكثيرات... لا أعرف، ولن أعرف حقيقة ما أشعر به إلا إن قابلتها ثانية.

فعندها سأدرك أن هذة الفتاة هي قدري وسأتزوجها...أجل سأتزوجها؛ فالمرأة التي تجعلني أتعلق بها إلى هذا الحد أعلم أنها ستغنيني عن النظر لكل الفتيات. مرَّ الآن أسبوع منذ أن التقيتها بالحفلة ولم أقابلها بعد، تمر علي لحظات أشعر بها أن تلك الفتاة كانت مجرد وهمٍ من نسج خيالي، قطع تفكيري صوت رنين هاتفي، فأجبت

وكان صديقي الذي كان معي بتلك الحفلة هو المتصل...

- بخير وأنت كيف حالك؟

- في الدنيا، أتعلم أني لم أخرج منذ ذلك الحين.

- حقاً...متى؟

- حسناً سآتي معكم.

- آه أعرفه أليس ذلك هو المطعم في شارع ...

- حسناً إلى اللقاء...

ارتديت ملابسي بسرعة وذهبت لمقابلة أصدقائي في مطعم يطل على النيل، وهناك وما أن دخلت حتى رأيتها أجل إنها جميلة... تلك الفاتنة التي قتلني سحرها، كانت تجلس على طاولة بأحد الأركان بهدوء تطالع كتاباً وأمامها فنجان قهوة، جلستها وحيدة، هكذا شجعتني للذهاب إليها ومحادثتها مرة أخرى، وهو ما فعلته بالفعل

سمير : لم أعلم أن الصدفة يمكن أن تجمعنا بهذه السرعة ..إنه القدر إذن... أدرك الآن أنك قدري.

جميلة : ماذا ؟؟ معذرة هل أعرفك؟

سمير: هل نسيتيني ؟

جميلة : آه أنا آسفة ... الآن تذكرتك، أنت من كان يبحث عن موسيقى جيدة ...ترى هل وجدت ضالتك ؟

سمير: وجدتها فيكِ ومعكِ... لقد سحرتني، لقد أبهرتني...

جميلة : مهلاً .. على مهلك قليلاً ...أبهذة السرعة ؟ أنت لم ترني سوى مرة واحدة فقط !!

سمير : أعرف وهذا ما يدهشني، أتعلمين؟ لقد قررت في قرارة نفسي أنني سأتزوجك إذا رأيتك مرة أخرى.

جميلة : ماذاا ؟ ...تتزوجني ...أنا ... لقد ... فاجأتني كثيراً.

سمير : يمكنك بالطبع أن تفكري ولكن ليس لوقت طويل.

جميلة : ألم تكن تمزح ... هذا قرار لا يؤخذ في يوم وليلة هكذا.

سمير : أعرف ولكنِ أحببتك لذلك أنا على استعداد أن أخذ هذه الخطوة في حياتي...ودون تردد أو تفكير كما أن كل شيء معد... السكن والمال وكل شيء.

جميلة : لكنك لا تعرف عني شيئاً ... لا تعرف من أنا...لن أنكر إعجابي بك ولكن ...

سمير : لا يوجد مجال ل لكن...

جميلة : حسناً ...دعني أفكر.

سمير: هاااا

جميلة : حتى الغد فقط

سمير: حسناً .. دعينا الآن نتعرف إلى بعضنا أكثر.

وأمضينا في الحديث ساعتين مرتا دون أن نشعر، ولم أذهب لأصدقائي كما وعدتهم، عرفت من خلال حديثي معها...

أنها تعمل موظفة في إحدى الشركات، يتيمة الوالدين...الخ، وجدت نفسي أصارحها بكل شيء، كل ما فعلته قبل أن أراها، كل ما كان بقلبي، وتواعدنا على اللقاء... في اليوم التالي لتخبرني بقرارها بأمر الزواج، وكنت أوصلها حتى باب المطعم عندما أعاقها شيء ما فكادت أن تسقط أرضاً، لولا أن أمسكت بيدها ولاحظت أنها تربطها...

سمير: عزيزتي !! لم تربطين يدك هكذا؟

جميلة : (*أمس كنت أتدرب على الشيش في منزلي فجرحت يدي جرحاً كبيراً دون قصد*)... لا شيء جرح بسيط.

سمير: هذا بسيط ! ؟ .. كيف جرحت هكذا

جميلة : لقد تكسرت المرآة و.. وسقطت قطعة زجاج فجرحتني.

سمير: عافاك الله يا حبيبتي.

ثم أوصلتها حتى سيارتها وانتظرت حتى ذهبت وتركتني في حيرة من أمري وفتنة وحب وشوق أكثر وأكثر...

-16-

في اليوم التالي أمضيت النهار كله في النظر إلى الساعة، متى ستنتهي أيها النهار ويأتي الليل لأقابل جميلة

ولأعرف قرارها، أعرف أنها ستوافق... لا شيء يمنع موافقتها، لو كانت سترفض ما كانت تبادلت الحديث معي بالأمس.

بقي الآن ساعتان حتى موعدي معها، بدأت في أن أجهز نفسي، استحممت وحلقت ذقني وارتديت أجمل وأغلى بدلة أملكها، ووضعت عطراً باريسياً أضعه لأول مرة...استقليت سيارتي وذهبت إلى مكان اللقاء، لم أعرف لماذا أصرت أن تلتقيني في الشارع؟! توقعت أن نلتقي في مطعم أو فندق... لكنها قالت لي: "أن أنتظرها بشارع "...وصلت قبل الموعد بحوالي عشر دقائق أما هي فأتت في الموعد تماماً، أتت بسيارتها نزلت إليها كي تنزل هي الأخرى من سيارتها، لكنها لم تنزل بل أمرتني بالركوب معها ففعلت...وجدتها ترتدي فستاناً أسوداً، ولم يكن حتى ثوب سهرة كان شكله كئيباً لكني لم أبال...

سمير :أين سنذهب ؟؟

لم تجيبني بل ظلت على وجهها نظرة باردة قاسية، فكررت السؤال لأنني توقعت أنها لم تسمعني، ولكنها أيضاً لم تجب حتى دخلت بالسيارة في منطقة غير مأهولة بالسكان كثيراً، حتى وصلنا إلى فيلا صغيرة نزلت من السيارة، وأمرتني بالنزول، تعجبت كثيراً وتسائلت: هل هذا بيتها لماذا إذن أتت بي إلى هنا... دخلت هي قبلي وظللت أسير ورائها عندما دخلت إلى تلك الفيلا وجدتها مظلمة جدا، ستائرها وفرشها كلها باللون الأسود أستطيع أن أستوعب حب شخص للون ما، ولكن ليس إلى تلك الدرجة وليس اللون الأسود، كذلك فهو لون يوحي بالكآبة الشديدة، ظلت هي تسير أمامي بداخل الفيلا أما أنا فتوقفت قرب الباب فلم أكن أعرف أنها لن تضيء المصابيح.

ثم توقفت أما السلم الداخلي وعندها التفتت إلي...

لورا : هل أنت خائف؟

تصنعت أني لا أبالي ولكن في الحقيقة الأجواء موترة بعض الشيء.

سمير: لماذا أتينا إلى هنا؟

لورا : هل أنت خائف؟

سمير: لا هل يجب أن أخاف؟ هل هذا هو بيتك؟ لماذا أتينا إلى هنا؟

لورا : يجب أن تخاف إذن.

سمير: لماذا؟

لورا : لأنك معي.

سمير: وهل التواجد معك مخيف؟

لورا : ربما إن عرفت من أكون... وماذا أكون... ستعرف أن التواجد معي مخيف.

سمير: لازلت لا أفهم لم أتينا إلى هنا؟

لورا : في الحقيقة سيصعب علي إخفاء جثتك إن قتلتك بعيداً عن هنا.

سمير: ما الذي تقولينه ؟ عن أي جثة تتحدثين؟!

لورا : أكثر ما يطمأنني أنه لن يسأل عنك أحد، ولن ينتبه أحد إلى غيابك...فأما أختاك فكانا يكرهانك أشد الكره بسبب والديك ...وأما أصدقاؤك فلا يرجون منك سوى المال، وإذا اختفيت أنت سيبحثون عن مصدر آخر ليس إلا...

ربما اليوم يستجيب الله لدعاء الفتيات اللواتي خدعتهن وتسليت بمشاعرهن...

سمير: ما الذي تقولينه يا عزيزتي؟!

لورا : أعلن لك نهايتك، لقد جئت إلي في تلك الحفلة لأن قدرك ساقك إلي...إلتقيتني مرة أخرى لأنني قدرك ونهايتك...لم تعرف أن موتك سيكون على يديّ...أتعلم؟ أنت الوحيد الذي لن أتردد في قتله.

سمير: لم ستقتلينني يا جميلة ماذا فعلت لكِ؟

لورا : جميلة .. جميلة .. هل صدقت حقاً أن هذا هو اسمي ...نعم .. لقد وقعت في فخك يا سمير...الفخ الذي نصبته للكثيرات...لا يوجد لك نهاية أفضل من تلك، فأنا لن أعذبك كثيراً وأنا أزهق روحك...

وعندها ركضت باتجاهي بسرعة، وأمسكت رقبتي ورفعتني بالهواء، وظهري مستند إلى الباب، تعجبت كيف لامرأة أن تحمل رجلاً بهذا الشكل...

لورا : لا تتعجب كثيراً ... أو تعجب فاليوم لن ترى إلا العجب.

ثم بدأت تغرس أظافرها في عنقي مما آلمني أشد الألم.

سمير : جميلة !! ماذا تفعلين ؟ أفلتيني ... لم تفعلين بي ذلك؟ ماذا فعلت لكِ؟

لورا : لا تناديني بهذا الاسم... اسمي هو لورا ...

سمير : لماذا تفعلين بي ذلك؟ توقفي فأظافرك تؤلمني.

لورا : هذا عذاب بسيط لما فعلته طوال حياتك، فأنت لم تتعب في حياتك أبداً لتصل إلى شيء ...حتى في صغرك كان أبوك يدفع المال لتحصل على العلامات الجيدة في المدرسة، هل تعتقد أن الدنيا كلها تُشترى بالمال كنت تشتري الفتيات بالمال، تشتري الأصدقاء بالمال... كنت تريد شرائي أنا بالمال، لم تحذر... فحياتك لن ينقذها مالك...

سمير : كيف تعرفين ذلك؟ كيف تعرفين عني كل شيء.

لورا : مؤسف فشريانك الوداجي قد ثُقب والقطرات الجيدة تذهب الآن سدىً، ستموت بسرعة هكذا ولن أتلذذ بعشائي الليلة.

لورا : هل أنت مجنونة ...أفلتيني أيتها الحمقاء.

تركتني لأسقط على الأرض، وجلست هي بجواري وضعت يدي على جرح رقبتي.

لورا : أتعلم من أنا يا سمير؟ أنا شخص طاردته أنت كثيراً في أحلامه في الماضي ...لا .. لست أحدى الفتيات اللواتي كنت تتسلى معهن، فأنا بالنسبة لك كنت كائناً بغيضاً لا ترغب حتى في النظر بوجهه، كنت أسخر منك كثيراً وأنت تقع في شباكي، كنت تريد صيدي وأنت تعتقد أنني سمكة صغيرة، وأنت صياد النساء البارع لم تعرف أن تلك السمكة هي من اصطادتك، لقد وضعت طعمي في فمك بسهولة، وقد ابتلعت الطعم أيها الغبي.

سمير: من أنتِ؟ هل هذه مكافأتي لأني أحببتك؟!

لورا : تحبني...ههههه أمر مضحك ... كيف تحب أسوء كوابيسك، سأكون اليوم ملاك موتك الذي لن يرحمك

كنت أحد أصدقائك السبعة...أتذكر شخصاً كنت تظلمه يومياً؟!

عندها تذكرت اسمها...لورا...تلك الفتاة.

سمير: لورا !! ولكن كيف؟!

لورا (مقاطعة) : كيف أصبحت هكذا؟ بصعوبة، كيف خططت لهذه اللحظة؟ بمتعة كيف ستكون نهاية حياتك؟ لن تختلف عما فعلته في قلوب الناس.

ثم انقضت على عنقي ...وأصبحت الدنيا كلها سوداء.

***

-17-

الحياة رائعة (جملة اتخذتها شعاراً لحياتي رغم كل همومي، ورغم فقري الآن، فلازلت الحياة في عينيّ رائعة)

اسمي كريم محمد عبد الفتاح عمري 27 عام أعمل... في الحقيقة أعمل أشياءً كثيرة فأنا أعمل بمحل والدي رحمه الله، ومحلي للأسف لا يربح ما يكفي لأنفق على أمي وأخواتي البنات، فلدي أمٌّ مريضة بداء الفشل الكلوي وعلاجها يكلف على الأقل ثلاثة ألاف جنيه بالأسبوع، وثلاثة هو عدد أخواتي البنات، والبنات تصرف النقود بسرعة كما يعرف الجميع؛ فأصغرهن في التعليم الثانوي ولا أحد يعلم كم المال الذي تحتاجة في الدروس والمذاكرة والكتب وكل شيء...وإحداهن في كلية الطب وهي نار أخرى وحملاً آخر على كاهلي، وأما الكبيرة فهي مخطوبة وهي نار ومصاريف ثالثة، أنا لا أشكو قلة المال فأنا مستعد لتقطيع لحمي قطعاً وبيعه لأوفي كل مطالبهن؛ فأنا أعمل بمحل والدي، وأعمل نادلاً بأحد المطاعم بمرتب جيد، وأمارس هوايتي التي تدر علي المال أيضاً، فأنا أعشق القيادة رغم أني لم أمتلك

سيارة في حياتي، ولكني أشترك بالمسابقات، والسباقات بسيارة أحد أصدقائي، وأربح عادة الجائزة الأولى؛ فآخذ نصف الجائزة وصديقي يأخذ النصف، وتزداد بعد ذلك المطالبات لشراء سيارة السباقات التي يملكها، فالمشترون يعتقدون أن السر يكمن في تلك السيارة... في الحقيقة نعم فالسر يكمن فيه، فأنا قد تخرجت في كلية الهندسة قسم الميكانيكا، واخترعت ملحقاً أضفته للمحرك يجعل عمله يزداد للضعف، ولا يؤثر عليه، وصديقي الآن يجمع أنصاف الجوائز تلك ليشتري بها سيارة جديدة ويمددني كذلك بجزء من المال لأصنع المزيد من تلك الملاحق، وسمح لي كذلك بالعمل في عطلتي في الجراج الذي يملكه، وأصبح في رأسنا مشروع نطمح لتحقيقة، وهو أن يكون لدينا المزيد والمزيد من تلك السيارات فأسعارها دوماً في ارتفاع شديد...أتذكر آخر مرة طلب فيها أحد المشترين من صديقي أن يبيعه سيارته بمبلغ مليون جنيه ومائتا ألف، إذا تحقق مشروعنا فسأصبح ثرياً في فترة قصيرة، وأستطيع أن أسدد احتياجاتي واحتياجات عائلتي، أما عني أنا فقد نسيت ذاتي ونسيت نفسي فأنا لا أطمع الآن في هذه الحياة إلا بأن أزوج أخواتي وأجعلهن أعزاء في بيوتهن، وأبقي بقية حياتي تحت قدمي والدتي أخدمها، وإذا أنعم الله علي وأعطاني زوجة صالحة يمكنها أن تخدم أمي، وأن تراعي ظروفي... فعندها سأكون أسعد الناس. اليوم هو التاسع من فبراير هاتفني صديقي وأخبرني أنه يريد مقابلتي في أحدى الكافيتريات بنادي ....فذهبت...

كريم : كيف حالك يا شريكي؟

الصديق : بخير، عندي خبر رائع.

كريم : سباق؟

الصديق : نعم غداً في شرم الشيخ في نفس المكان، كما أنك تعلم أنها فرصة جيدة لمزيد من المال لنستعد جيداً لرالي الفراعنة فقد اقترب الموعد كثيراً.

كريم : رائع أنا جاهز ، سنسافر اليوم طبعاً.

الصديق : أجل يا صديقي ولكن يوجد أمر آخر يوجد سباق آخر بعد غد في الغردقة كذلك، وأنا أعلم أنك تعمل بالمطعم في ذلك اليوم.

كريم : لم آخذ اجازة منذ أن وظفوني، إذا طلبت فلن يرفضوا أبداً.

الصديق : رائع يا صديقي إذن اذهب لبيتك الآن واستعد، سأمر عليك بعد ساعة بسيارتي لنسافر.

كريم : حسناً.

وانتهت مقابلتنا على ذلك ولم أنتبه أبداً لتلك الآذان التي كانت تستمع لحديثنا وتجلس على مقربة منا ...

***

-18-

بعد أن قضيت على ذلك الأحمق الذي يستحق الموت وصار دمه في شراييني، أحسست بسعادة لا توصف

كان يستحق الموت بالفعل، ويبدو أن الأشخاص الذين يستحقون الموت تكون دماؤهم لذيذة مغرية لإراقتها

تثير شهية كل قاتل ليقتله والآن حان الوقت لـ.... لن أقول عنه ضحية فأنا لن أجني عليه ربما ما سأفعله به صعب، لكني سأساعده على تخطي همومه، ومشاكله، فأحياناً الابتعاد عن المشكلة يحلها بعض الشيء ...كنت في النادي أستمع لحديثه مع صديقه، وذهبت بسيارتي قبلهم إلى شرم الشيخ، وسجلت اسمي في قائمة المشاركين في السباق، كان المشاركون عددهم محدود... حوالي ثلاثين، وكنت أنا رقم ثلاثين، وفي اليوم التالي اصطفت السيارات بترتيب المشاركين في القائمة، بدأ السباق بأسبقية الاشتراك لذلك كنت الأخيرة في الإنطلاق.

ومن الطبيعي أن يفقد السباق نصف مشاركيه في حوادث عرضية طفيفة في بداية السباق، لتخرج هؤلاء المنافسين، كان

المضمار طويلاً وقد تقدم كريم وأصبح بالمركز الأول، ظللت أنا أنافس وأسابق حتى أصبحت خلفه مباشرة، وقبل النهاية بحوالي 100 متر تقريباً زدت السرعة فجأة وسبقته، وحصلت أنا على المركز الأول.

وضاعت منه الجائزة الأولى، خرجت من السيارة بسرعة وكان الجميع يهنئونني ويحاولون التعرف إلى المتسابق الجديد الذي فاز في أول اشتراك له بالمسابقة... ولكني ابتعدت عن الناس بسرعة، وذهبت لأختبئ في مكان ما، بالقرب من منصة المشجعين حيث كنت على مقربة من صديق كريم وكان صديقة ينتظره بنهاية المضمار فاستمعت لحديثهم خلسة.

كريم : من ذلك المتسابق الذي فاز؟ كيف فاز؟ يا الهي لقد خسرت وخسرنا.

الصديق : هون عليك سنعوض الأمر بسباق الغد.

كريم : يا إلهي كنت في المركز الأول طيلة الوقت وسرق مني الفوز في لحظة.

وفي ذلك الوقت أعلن منظموا السباق في مكبر الصوت أنهم يريدون الفائز لاستلام جائزته، ذهبت واستلمت المبلغ كان حوالي 25 ألف جنيه، لم أكن في حاجة إلى ذلك المبلغ التافه، ولكني أعلم جيداً فيم سأنفقه، لمحت عيني كريم ونظرته لي، كان يحاول ألا يظهر حقده علي، أنا أعلم أنه بحاجة لهذا المال كثيراً، رأيت شفتيه تردادان: قدر الله وما شاء فعل. كريم كان في مجموعة أصدقائي في الماضي، لكنه لم يكن يشارك كثيراً فيما

كانوا يفعلونه، فقره جعل منه رجلاً يستطيع تحمل المسؤولية... كان يخفي ذلك الفقر في الماضي لكنه مسكين تراكمت عليه الخسارة فمحل والده لم يعد تأتيه الزبائن كالعادة، والمطعم لا يعطيه الأجر الذي يكفي لقمة العيش، والحياة الكريمة، يحتاج للمال دوماً وبأي وسيلة... حقاً إنه مسكين ولكن سبق السيف العذل..

***

-19-

حزنت كثيراً لخسارة ذلك السباق لقد خسرت معه كل شيء؛ خسرت مبلغاً كان على الأقل سيغطي نفقات علاج أمي حتى نهاية الشهر، ليس أمامي فرصة الآن سوى سباق الغد في الغردقة، سافرت مع صديقي إلى الغردقة بعد انتهاء سباق شرم الشيخ مباشرة، وقد سجلنا اشتراكنا بالهاتف كما فعلنا من قبل، وفي اليوم التالي كان موعد السباق وقد كان الأمر مفزعاً للمتسابقين عند رؤية المضمار. إذ أن المضمار ضيق للغاية يتسع لسيارة واحدة... أي أنه إذا كنت تريد التقدم فعليك السير على الأرض الرملية الوعرة ثم تعود للطريق مرة أخرى أمر صعب جداً يحتاج إلى مجهود غير عادي ودقة، فالحوادث ستكون بالجملة في هذه الطريق، كان سباق الأمس مضموناً ولكني خسرته بحماقتي كيف سأربح هذا السباق الصعب، الآن حاولت ترتيب استراتيجية ولكن كلما توصلت إلى واحدة اكتشفت أن بها ثغرة ما، وأني سأصل إلى النهاية دون حوادث، ولكن لن أكون الأول في الوصول، أحتاج الآن إلى معجزة للفوز بذلك السباق؛ فهي فرصة رائعة لزيادة عروض شراء سيارة صديقي حان موعد السباق الآن، واصطفت السيارات، ظللت أدعو ألا يخيّب الله رجائي، وأن أفوز، ليس من أجلي ولا من

أجل صديقي بل من أجل أمي... فإذا خسرت الآن لن أستطيع العيش حتى نهاية هذا الشهر . بداخل السيارة حاولت موازنة قلقي حتى لا يؤثر علي، ولا أخسر، كان المضمار بالإضافة لكونه صعباً... طويلاً جداً كان تحدي للسائقين.

حدثت حوادث البداية وخرجت أكثر من نصف السيارات، وبينما أقود وجدت سيارة تريد التقدم علي، فخرجت عن المضمار إلى الطريق الرملية، وعند عودتها للمضمار أخطئ السائق، وأصاب خزان الوقود في سيارتي الآن لقد خسرت بالفعل، فلن أستطيع التوقف لإصلاح السيارة، عليّ أن أكمل وإذا بالسيارة التي تخطتني يحدث لها حادث أمام عينيّ فتطير في الهواء، وتستقر في المضمار لتسد الطريق، وهي تشتعل بشدة، الآن لم أخسر فقط بل وسأفقد حياتي كذلك، فإذا مررت الآن بهذه السيارة وخزان الوقود مثقوب ستنفجر سيارتي في لحظة. وقبل أن أصل إلى تلك السيارة أتت سيارة أخرى سوداء اللون، أتت من الطريق الرملية وأزاحت السيارة المشتعلة من طريقي واشتعلت مقدمة السيارة السوداء وخرجت منها امرأة قد أصيبت إصابة طفيفة وكادت أن تموت، ثم أشارت لي من بعيد أن أتقدم... حقاً حدثت المعجزة اليوم، وفزت في ذلك السباق... كاد صديقي أن يطير من فرط سعادته.

وبينما أنا أحتفل معه تذكرت تلك الفتاة، فأردت الذهاب إليها لأشكرها فقد تعرضت للخطر لتنقذني.

كريم : مرحباً ، أشكرك بشدة لقد أنقذتني، أنت أحد أسباب فوزي اليوم.

الفتاة : لقد كنت أعوض عليك خسارة البارحة فلقد رأيت بعينيك دمعة حسرة.

كريم : أنت لا تعرفين كم كنت أحتاج لهذا المال، فأنا لا أشترك بهذه السباقات لغرض المتعة.

الفتاة : أعرف .. أعرف كل شيء، لكني لم أنقذك بلا مقابل.

كريم : اذن لماذا أنقذتني، أنا لن أستطيع التعويض عليك بالمال أو مقاسمة الجائزة أعذريني، ولكن جائزتي مقسومة بالفعل.

الفتاة : أعرف أنا لا أطلب تعويضاً مادياً.

كريم : لا أفهم.

الفتاة : أنت تقيم في القاهرة أليس كذلك؟

كريم : نعم.

الفتاة : إذن سنتقابل هناك وأخبرك بما أريده، ولكن ما أريده منك الآن أن تتخذني صديقة جديدة لك.

كريم : بالطبع هذا يسعدني، كما أني مستعد لفعل ما يرضيك، فلقد كدت تُقتلين من أجلي.

ابتسمت ابتسامة امتزج فيها شعورها بالسعادة لأني قدّرت ما فعلت من أجلي، وشعوراٍ آخر بالثقة. أصلحت السيارة مع صديقي وعدنا بعدها إلى القاهرة، وبعد يومين ارتحت فيهما من عناء السباق، هاتفني صديقي ليخبرني بأنه يوجد معرض

للسيارات افتتحوه اليوم، ولن نخسر شيئاً إذا ذهبنا للمشاهدة، فلربما حصلت على بعض الأفكار الجديدة

وافقت بالطبع فلقد كنت أتمنى زيارة أحد هذه المعارض، ولكن بسبب ظروفي، وانشغالي لم أكن أعلم بمواعيدها إلا بعد أن تنتهي...

اتفقت وصديقي على اللقاء، وذهبنا إلى هناك كنا نقف بجوار سيارة من نوع ... مثل سيارة تلك الفتاة التي أنقذتني في السباق فخطرت في بالي فجأة.

كريم : أتعلم لقد فزت بمعجزة في سباق الغردقة بسبب تلك السيارة؟

الصديق : كيف؟

فقصصت عليه ما حدث.

كريم : لولا تلك الفتاة لكنت في عداد الأموات الآن.

وما أن نطقت هذة الجملة حتي وجدتها أمامي مباشرة تبتسم.

كريم : إنها هي...هذه هي.

الصديق : من؟

كريم : الفتاة...الفتاة التي أنقذتني.

عندها اقتربت منا وألقت التحية.

الصديق : تشرفت سيدتي.

كريم : كنت أتحدث عنك منذ قليل، لقد قصصت له كل ماحدث، حقاً لولاك لخسرت كل شيء.

الفتاة : ليس لهذة الدرجة فأنا لم أفعل إلا واجب الصداقة.

كريم : مهلاً أنا لم أعرف اسمك بعد.

الفتاة : إسمي جميلة.

الصديق : إسم يليق بك جدا.

جميلة : أشكرك.

كريم : هل كنت تزورين المعرض؟

جميلة : في الحقيقة لا بل جئت لأقابلك، أتذكر ما اتفقنا عليه في الغردقة؟!

كريم : أجل وقلت لك أني على استعداد لمساعدتك في أي شيء.

جميلة : سأخذ إذناً من صديقك برحيلك معي الآن.

كريم : أتأذن لي؟

الصديق : بالطبع ولكن لم نكمل جولتنا في المعرض بعد.

جميلة : لا تقلق فالمعرض مفتوح بالغد.

الصديق : أمممممم.

جميلة : لن أخطفة لا تخف سأعيده إليك.

الصديق : حسناً كما تريدان.

سرت معها إلى الخارج واستقليت معها سيارتها، وكانت هي من يقود السيارة، رأيت في سيارتها شيئاً أبيض.

كريم : ما هذا؟

جميلة : إنه معطف، تعلم ذلك ما يرتديه الأطباء والعلماء في داخل المعامل.

كريم : لمن هو إذن؟

جميلة :إنه ملكي.

كريم : غريب !

جميلة : ما الغريب في الأمر.

كريم : هل أنت طبيبة؟

جميلة : لا ، أنا دكتورة بكلية العلوم.

كريم : إذن كيف تملكين الوقت للإشتراك في السباقات وزيارة المعارض ...أعني أمثالك يكونون مشغولين في المعامل وتطوير البحث العلمي وتلك الأشياء.

جميلة : عندما تكون مثلي سيكون لديك الوقت لفعل أي شيء.

كريم : لم تخبريني أين نحن ذاهبان؟ وما الذي تريدين مني مساعدتك فيه؟

جميلة : ستعرف كل شيء بعد قليل.

وتوقفت بسيارتها أمام كلية العلوم ودلفت من السيارة فنزلت أنا بدوري.

كريم : لماذا جئنا إلى هنا.

جميلة : تعال معي، سآخذ شيئاً من معملي ونذهب في الحال.

كريم : حسناً.

سرت معها حتى المعمل ...دخلت وأضائت المصباح، وارتدت معطفها الأبيض وفتحت المبرد وأخرجت منه محقن .

جميلة : أتعرف ما هذا؟

كريم : بالطبع لا، في الحقيقة هذه هي المرة الأولى التي أدخل فيها معملاً.

جميلة : أمم ...هذا المحقن يحمل مادة ستغير كل حياتك.

كريم : ماذا؟ هل تنوين حقني بهذا؟ أنا...أنا أكره الحقن.

جميلة : لا تخف بل استسلم للأمر.

وابتسمت ابتسامة خبيثة جداً ..لا أذكر شيئاً بعدها إلا الظلام.

***

-20-

استيقظت بعد ذلك وأنا لا أعلم كم من الوقت، ظللت فاقداً للوعي وجدت نفسي في مكان غريب فيلا كل أساسها أسود اللون، وستائرها سوداء، ومصباحاً ضعيفاً مضاء...لا يكسر حدة اللون، لا أتذكر تحديداً ما حدث لي قبل أن أفقد الوعي، أتذكر جميلة والمعمل، أتذكر المحقن... أتذكر ألم المحقن في ذراعي... نظرت إلى ذراعي فوجدت فيه أثر المحقن بالفعل... لم أعلم ما تلك المادة التي كانت في داخل تلك الحقنة؟! أتذكر كانت حمراء اللون...هل حقنتني بدم مسموم؟! ما هذا الغباء؟ إذا كانت قد فعلت ذلك فسأكون ميتاً الآن، هل أخذت دماً مني؟ لم كنت أفقد الوعي لمجرد حقنة من الدم؟ فأنا أتبرع بالدم شهرياً وأجعلهم يملؤن من دمي كيساً كاملاً، ولم أفقد الوعي أبداً، ولماذا أشعر بألمٍ مبرح في صدري، وكأن عربة ثقيلة قد مرت من فوقي فحطمت عظام صدري، ثم شق صوتها الظلام وظهرت لي وهي تبتسم ...

لورا : لا تخف.

نهضت بسرعة واتجهت إليها أمسكت برقبتها.

كريم : ماذا فعلتِ بي؟ ما الذي كان في ذلك المحقن؟

أجابت بكل برود.

لورا : اهدأ... لم أؤذك بل أساعدك.

كريم : كيف؟

لورا : ألست بحاجة إلى المال؟ ستساعدني فيما أريد وبالمقابل أعطيك المال.

كريم : لم تجيبي على سؤالي... بماذا حقنتني؟

لورا : حقنتك بقوة لا يملكها أحد في هذا العالم غيرك، أعطيتك المستحيل بذاته، أنت الآن ديسموديوس روتديوس.

كريم : هاا؟

وظهرت على وجهي حينها علامات التعجب الممزوج ببعض الغباء، فأنا لم أفهم تلك الكلمة التي قالتها

ابتسمت هي وأكملت...

لورا : في البداية قبل أن أشرح لك أرغب في تنشيط ذاكرتك قليلاً.

أتذكر أول مرة قابلتني فيها؟

كريم : أجل في ذلك السباق الذي ربحتِ فيه.

لورا : أمممممم... خطأ لقد التقينا قبل ذلك ...قبل ذلك بكثير جدا.

كريم ظللت أفكر كثيراً ...أشعر أن وجهها مألوف، لكني سأعرف إن كنت رأيتها من قبل، فوجهها من النوع المميز الذي لا ينسى.

لورا : امسح تراب الزمان من وجهي، ستدرك أنني لطالما مددت لك يد العون فأنا أعلم بشأن فقرك ومرض والدتك ومصاريف أخواتك، أعرف عنك كل شيء وأكثر، بل أعرف عنك ما لا تعرفه عن نفسك.

كريم : هل تقولين الألغاز؟

لورا : ربما ...فأنا أعرف أنك تعشق الألغاز...

كريم : لازلت تعبثين ولم تجيبيني على أسئلتي.

لورا : ستريح نفسك وتجيب على أسئلتك بنفسك، إذا أجبت أسئلتي أنا...فكر قليلاً...ابحث في أعماق ذاتك

شخص ساعدك ولم تساعده... ابتسم في وجهك، فابتعدت عنه... لكنك لم تخطئ وحدك في هذا، ولم تكن وحشاً في أحلامه... كانوا سبعة وحوش... صنعوا وحشاً واحداً كسحرة موسى وعصاه، ألقى العصا فالتهمت كل ما كانوا يصنعون رغم أنها عصاً واحدة، وهم كانوا كثيرين... أتعرف الآن من أنا يا صديقي؟! ظللت أنظر لها في تعجب فأنا لم أفهم شيئاً مما قالت ابتسمت هي مرة أخرى.

لورا : سبعة وحوش صنعوا وحشاً واحداً، كلٌّ منكم وضع فيه شيئاً وكان يجب أن تحذروا ما صنعتموه، فعادة لا تطيع آلتك أمرك... أنا يا صديقي جزء من ماضيك، غاب عن

حاضرك وخلق مستقبلك، أنا شخص سيساعدك مرة أخرى، ولكل شيء ثمن، أنا نار ستحرق وتحمي وتختار... بالمناسبة اسمي ليس جميلة اسمي هو.. لورا.

كريم : لورا ! وما الفرق؟

لورا : الفرق كبير فالجمال خدعة، وجميلة مجرد قناع أتعتقد أن كل شيء كان مجرد صدفة؟ من يؤمن بالصدف في هذا العالم هو الأحمق فقط.

ظللت أفكر قليلاً فيما قالته..."سبعة وحوش...لورا ...ماضي...صديق ...لمعت في رأسي ذكرى ما لكن ...

لورا : أجل هذه هي...أستطيع أن أرى في نظرة عينيك أنك التقطت الإجابة الصحيحة هذة المرة.

لم أجد ما أستطيع قوله...

لورا : ألاتزال غير مقتنع يا صديقي؟ سأخبرك شيئاً لا تعرفه عن نفسك، لقد فعلت سالي معك مثلما فعلت معي ولكن كانت تتفاخر عليك بأمر آخر غير الجمال، كانت تزهو بمالها، أذاقتك طعم الذل مثلي لمجرد أنك تفتقد شيئاً ليس لك يد فيه، عندها اقتربت مني ووقفت خلفي وظللت تتحدث بصوت هامس في أذني، كان صوتها وكأن نفسي هي من تحدثني وتقنعني.

لورا : ألا تطمع أن تنتقم منها لقد عشنا نحن الاثنان لخمس عشرة عاماً في عذاب بسببها...

سأخبرك أمراً لا تعلمه كان والدك تاجراً ناجحاً، لكن بعد وفاته أوصت أحد خدمها أن يجعلك تخسر وألا يدخل محلك

أحد، لتلجأ إليها كما تعودت، ولتعطيك المال وتعيد سيطرتها عليك، أعلم أن علاقتك بها لم تنته، ولكنك سأمت من الذل الذي تذيقك إياه ..سأعطيك المال ولكن صدقني لن أفعل مثلها، ولن أكلفك الكثير، ولن أجعلك تعمل عملاً لمدة اثنتي عشرة ساعة كما تعمل في المطعم، فطلباتي سهلة جداً، ولكن الأمر الصعب فيها هو أنك لن تعود إلى بيتك بل ستبقى هنا، وكل أسبوع ستزور أمك وأخوتك، وتعطيهم المال وإذا أردت زيارتهم في أي وقت سأسمح لك، ولكن فقط ساعدني في هذا، ألست صديقي يا كريم؟ أعطني حق الصداقة لفترة قصيرة فقط، وسأعطيك بالمقابل ما يمكنك أن تبدأ به مشروع أحلامك... هل ستساعدني؟ هل ستقف بجواري؟ في البداية يجب أن تعرف ما أصبحت عليه، فأنت لم تعد انساناً بعد الآن، لقد حقنتك بجينات خفاش مصاص للدماء وبدون إطالة فلقد أصبحت لديك الآن القدرة على مص الدماء، بالإضافة لقوة العظام والسرعة، وربما وجدت لديك مواهب أخرى، لون عينيك لم يتغير لأني لم أخذ نسبة صبغة الميلانين من دم الخفاش الذي حقنتك به، لم أرد أن يتغير شكلك الأصلي وهذا سيسهل عملك كثيراً.

كريم : ما كل هذا الهراء؟ مصاص دماء وميلانين؟ ما الذي تهزأين به؟ كنت أعرف أنك ذكية بالماضي ولكن هل عبرتي الشعرة التي بين العبقرية والجنون؟ يا خسارة ...كنت لتصبحين نابغة وعالمة مرموقة...كيف جننتي هكذا يا لورا ؟!

لورا : أنت لن تفهم أبداً ما أعني، فعقلك لازال أصغر من أن يستوعب الإنجاز الذي فعلته، أنا بالفعل نابغة هذا العصر، فلقد منحني الله القدرة على الانتقام وتحقيق العدالة، أعطاني

القدرة على القتل والعقل الذي يمكّنني من ترتيب كل شيء...فكل شيء مخطط له، كل ما عليك فعله هو مساعدتي.

كريم : وماذا إن رفضت؟

لورا : صدقني لن ترغب بالرفض فبالإضافة لمتعة الأمر، فلن يروقك أبداً مشاهدة رأس والدتك وهي مقطوعة وموضوعة على تلك الطاولة وأنت تبكي أمامها، وتتمنى لو أنك قبلت هذا العرض.

كريم : أنتِ لا تقدرين على إيذاء نملة، أنا أعرفك جيداً، كنت ترتجفين أمام سالي، إذا علا صوتها في وجهك قليلاً والآن تهددينني بقتل أمي ؟!!

لورا : أتريد برهاناً؟ كنت أعلم أنك لن تقتنع ببساطة... صدقني كنت أعرف ذلك، وكما أخبرتك فكل شيء معد

تعال معي.

رافقتها حتي قبو الفيلا وهناك رأيت ما لم أتوقع رؤيته أبداً...رأيت جثة رجل والعديد من جثث الأرانب والحمام انتابتني الرغبة في التقيؤ.

لورا : أرأيت؟ هل تظن أنك لا تعرفه إنه سمير صديقنا، ولكن بشكل أفضل، فلقد أرحت العالم منه ومن شروره.

نظرت إليها غير مصدق!!

لورا: صدقني أختاه الآن استلمتا شركتهما وهما في وضع أفضل بدونه ... حتى أنهما لم يبلغا عن اختفائه لم يفتقده

أحد، هو مكروه من الجميع حتى من لحمه ودمه...لا تظن أن قتلي لوالدتك مجرد تهديد واهٍ! فإذا لم تساعدني سترى جسدها يرقد هنا بجواره، وأيضاً سترى جثث أخواتك الثلاثة...والآن أخبرني... هل تفكر في الرفض؟ أم أنك ستتخذ القرار الصائب؟

تجمدت الدماء في عروقي ... هي لا تهددني ...لقد جنت تماماً ... ماذا عليّ أن أفعل؟، هي لم تترك لي أي خيار... يجب أن أنفذ طلباتها وإلا ستقتل كل ما كافحت من أجله سنين عمري كلها، إن أطعتها ونفذت أوامرها ستعطيني المال الذي سأتمم به مشروعي وأعالج به والدتي، وربما أجريت لها عملية زرع كلية بالخارج ...علي أن أقبل، رغم أني لا أعرف ما تنوي فعله هذه المجنونة؟ لكني مستعد لفعل أي شئ من أجل أمي وأخواتي...

لورا : أنت تفكر كثيراً...أخبرني قرارك الآن هل ستساعدني؟

كريم : نعم سأفعل.

لورا : إذن تعال معي.

وأخذتني إلى صالة واسعة بالفيلا أرضها مصنوعة من الخشب.

لورا : هذة هي صالة التدريب سأدربك وأكشف لك ما أنت الآن قادر على فعله.

كريم : هل بعد أن أساعدك سأعود كما كنت أعني بشرياً أم سأظل هكذا؟!

لورا : عليك ألا تقلق بشأن هذا الآن.

كريم : لم تجيبيني.

لورا : أسعى لذلك.

خاب أملي ولكن لقد تحولت وانتهي الأمر، فليس أمامي الآن سوى مساعدتها لأضمن المال لعلاج أمي ولنفقات أخواتي، بدأت فعلاً في تدريبي، وكنت أظهر لها كفائتي، فأنا رياضي لذلك كانت سرعتي مضاعفة وعظامي أصبحت أقوى كثيراً من ذي قبل، عرفت الخطة ولكن دون تفاصيل فلم يستغرق تدريبي سوى ثلاثة أيام فقط .

وذات مرة بعد التدريب...

كريم : اذن قتلتي سمير وحولتني... من التالي؟

لكني عرفت الإجابة من عينيها.

كريم : أتعلمين أنه قد خط...

لم أستطيع إكمال جملتي فلقد جرت نحوي، وأغلقت فمي، وأمسكت رقبتي، ورفعتني في الهواء...

لورا : إياك أن تنطق هذا الاسم هنا أبداً، والا سأنهي حياتك على الفور.

ثم أنزلتني بعدها بهدوء.

كريم : كنت أتسائل عن الخطوة القادمة فقط.

لورا : انتظر وسترى فالخطة تبدأ من الغد .

-21-

دُعينا لمسابقة كبرى أنا وكل المتدربين معي في رياضة الشيش، كانت المسابقة في أحد النوادي بالمدينة

أذكر جيداً هذا النادي فلقد رفضوا انضمامي إليه، والآن صار لي عشر سنوات أتدرب على رياضة الشيش أصبحت بارعاُ، ومدربي يعتمد علي كثيراً، كنت أنا وغيري من المتدربين ننتظر... بخارج الصالة حتى يحين موعد المسابقة عندها اقترب مني أحد زملائي...

الزميل : أترى ذلك اللاعب النحيل هناك؟

أحمد : ذلك الذي يرتدي الزي الأسود؟!

الزميل : أجل ... يقولون أنه محترفاً ولم يهزم.

أحمد : ما اسمه؟

الزميل : لا أعرف لكني سمعتهم يتحدثون عنه...يقولون: أنه لم يخسر مباراة من قبل، أتمنى ألا يلقني حظي في طريقه...

أحمد : أشعر أن به شيئاً غريباً...فلم يخلع قناعة منذ أن وصل، أتعلم أنا لا أهتم وأعرف أني إذا واجهته فسأهزمة فيبدوا مغروراً...

عندها وجه هذا اللاعب نظرة إلينا وشعرت أنه يحدق بنا، وخاصة بي أنا، رغم أني لا أرى عينيه أو ملامح وجهه...

إلا أني شعرت بشيء غريب تجاهه...

وها قد حان وقت المسابقة اصطففنا عشوائياً نوعاً ما، وكانت المسابقة أن يتبارز واحداً من كل من الناديين

نادينا وناديهم بترتيب الاصطفاف، كنت أقف في الصف مملوءاً بالثقة، فأنا أثق بنفسي، لا يمكن أن يكون هذا اللاعب بهذة المهارة التي يتحدثون عنها، لست خائفاً منه بالرغم من أنه لم يحرك ناظريه من علي وهو في صفه، وها قد أتى دوره، حمداً لله لست من يقابله، ولكنه لم يبدأ مباراته بل ذهب وهمس في أذن مدربه فصعد مدربه وتحدث مع لجنة التحكيم، وعندها تم استبعاد المتدرب الذي سيقابله ونادوا باسمي أنا في مكبر الصوت

لأواجهه أنا...

ترى هل سمعنا ونحن نتحدث عنه في الخارج، كانت بيننا أمتار كثيرة، وكنت وزميلي نتحدث همساً أيعقل أنه سمعنا؟

لم أتردد في خطواتي تجاه الملعب، لكن التردد كان بداخلي، لن أكذب لقد كنت خائفاً بعض الشيء... لم اختارني أنا بالذات؟ كانت المباراة عبارة عن ثلاث جولات، وعلى الفائز أن

يربح اثنتين من ثلاثة حتى يفوز بالمباراة، أخذنا وضع الاستعداد، ولم أبدأ بالخطوة الأولى بل تركته هو من يبدأ لأرى طريقته، ولكني رأيت ما أدهشني... ماهذه السرعة والمهارة؟ لقد تلهيت للحظات للإعجاب بمهارته... فلم أر مثيلاً لذلك في حياتي؛ يده الدقيقة وحركته السريعة إنه رائع ...مدهش ... مهاجم محترف، وخسرت الجولة الأولى بسبب دهشتي فلقد فاز بنقاط زائدة لأنه أسقط سيفي، استعددت للجولة الثانية، الآن لقد عرفت أسلوبه فهو يتخذ أحد أساليب رياضة الشيش التي أعرفها، ولكني لم أتدرب عليها فأنا أتقن أسلوباً آخر، وبدأت الجولة الثانية اتخذت وضع الدفاع المثالي لهجمته.

ولكني وجدته يستخدم أسلوباً آخر مختلف تماماً... أيعقل أن هذا اللاعب يتقن أسلوبين؟ غير معقول وخسرت مرة أخرى وخسرت بذلك المباراة لقد أظهر لي ذلك اللاعب مهاراته؛ لأنه علم بتحديي له وخرج قبلي من الملعب ثم خلع قناعه، فوجدت ما أدهشني !!إنها امرأة، نظرت لي وابتسمت ابتسامة سخرية، وكأنها تقول لي بعينيها: كنت أتوقع منك ما هو أفضل من ذلك. ولكني عندما نظرت إلى عينيها شعرت أن الزمن قد توقف بي يا إلهي ما هذا الجمال؟ إنها رائعة، بالفعل غادرت الصالة فلحقت بها... وجدتها تدخل غرفة الشرف وهي غرفة توضع فيها سيوف اللاعبين المميزين، ومن يفوز في بطولة دولية يوضع له سيفاً حقيقياً وليس من سيوف التدريب منقوش اسمه على قبضته، وقفت بالباب فوجدتها تمسك أحد السيوف الحقيقية الخاصة بأحد المدربين القدامى... وقامت ببعض الحركات

الاستعراضية الرائعة يا إلهي ما تلك المهارة؟ فهي تمسك السيف الثقيل بكل قوة وثقة وفجأة وجدت طرف هذا السيف أمام وجهي مباشرة ...ثم سحبته بهدوء...

الفتاة : لماذا لحقت بي ؟

أحمد : أردت فقط أن أبدي اعجابي بمهارتك... منذ متي وأنت تتدربين؟

الفتاة : منذ أكثر من عشرة أعوام.

أحمد : لماذا اخترتي مواجهتي أنا تحديداً ... هل ...

الفتاة (مقاطعة) : أجل لقد سمعتك...

أحمد : كيف؟ لقد كنا نهمس...

الفتاة : وأنا لدي حاسة سمع تضاهي مهارتي في الشيش.

أحمد : أنت فعلاً ماهرة ... لم أكن حتى أعلم أنك امرأة فسرعتك ودقتك مدهشة.

الفتاة : وهل يجب أن أكون رجلاً لأكون ماهرة؟!

أحمد : لم أقصد.

الفتاة : لا عليك...

أحمد : بالمناسبة أسمي أحمد ... وأنت...

الفتاة : جميلة

أحمد : يليق بكِ هذا الاسم كثيراً.

جميلة : أترى أني جميلة؟

أحمد : بل رائعة الجمال...أتمانعين إن تحدثنا قليلاً...

جميلة : أبداً...

ظللنا نتمشى بحديقة النادي تعرفنا إلى بعضنا...وجدت أننا متشابهان بعض الشيء، ما لم أكن أفهمه سر تلك النظرة الحزينة في عينيها، وجدت نفسي أحكِ لها الكثير عن نفسي فتحت لها قلبي علي مصراعيه...

أحمد : غريب .. التواجد معكِ يجعل المرء يبوح لك بكل أسراره، تبثين الثقة فيمن حولك... لقد ارتحت كثيراً للتحدث معكِ لكني لم أعرف عنك الكثير.

عرفت منها أنها موظفة بإحدى الشركات... يتيمة الأبوين، حدثتها كذلك عن سالي وخطبتي إليها رغماً عني.

جميلة : لمَ لم ترفض؟ إذا كنت تكرهها كما تقول؟!

أحمد : حاولت كثيراً ولكن كل مرة تحدثت مع أبي في الأمر يستشيط غضباً، وآخر مرة كاد يفقد وعيه...إنه مريض بالقلب كما أنه يحب سالي فهو يعتبرها كإبنته ولا يعرف حقيقتها... فهي تجيد التمثيل جيداً ...وأنتِ ما هو الحب في نظرك؟

جميلة : لم أجربه قبلاً... ماذا عنك؟

عندها مددت يدي تجاه حوض الزهور الذي كنا بجواري وقطفت زهرة...

أحمد : الحب بالنسبة لي هو هذه.

جميلة : التيوليب

أحمد : أجل فهي تذكرني بشخص غالي علي كثيراً..ليتني أعلم أين ذهب.

عندها نظرت إلي في مكر مع ابتسامة...

جميلة : من؟ ..فتاة؟

فابتسمت أنا الآخر.

أحمد : أجل ...كانت صديقتي... لم أدرك أني أكن لها هذا الحب إلا بعد أن رحلت...اشتقت إليها كثيراً ... انتظرت أن اسمع أخبارها بالجرائد، وأرى لها مكانة مرموقة بين العلماء لكن لم يحدث هذا للأسف ..لعلها الآن زوجة لأحد الأشخاص المحظوظين... وأماً لأطفالٍ تبث فيهم رقتها وحنانها، أتمنى أن تكون سعيدة ولا تعاني مثلي.

جميلة : ولكن لماذا ترمز لها بزهرة التيوليب؟!

أحمد : كانت تحبها كثيراً فاسمها يذكرني كذلك بوريقات الورد.

جميلة : ماذا كان اسمها؟

أحمد : لورا... رائحتها في تلك الزهرة.

ومددت يدي لها لتشمها لكنها لم تلمسها، بل أبعدتها بهدوء رأيت في عينيها بعض الارتباك الذي تحاول إخفاءه.

جميلة : كم الساعة؟

أحمد: إنها ...

جميلة : لقد تأخرت... أعتذر يجب أن أذهب.

أحمد : انتظري ...بما أننا أصبحنا أصدقاء عيد مولدي في نهاية الأسبوع والعنوان ...

أتمنى أن أراكِ.

جميلة : حسناً.

ثم أسرعت الخطا للخارج وركبت سيارتها وانطلقت بسرعة.

***

-22-

كيف هذا؟ كيف يقول لي ذلك؟ استقليت سيارتي والأسئلة تتراقص أمام عينيّ ورأسي يكاد ينفجر من كثرة التفكير، لماذا قال لي ما قاله؟ لقد كشفني...لقد عرف من أكون رغم أن هذا مستحيل كما أنه دعاني لعيد ميلاده... ترى هل عرف من أكون أم لا؟ وعندها وصلت لمنزلي وذهبت للداخل، فوجدت كريم ينتظرني

كريم : طمأنيني ماذا فعلتِ... هل وقع في الفخ ؟

لورا : لا أعرف.

كريم : كيف ذلك؟

لورا : أشعر أنه اكتشف شخصيتي.

كريم : لماذا؟ ماذا قال لك لتعتقدي ذلك؟

لورا : ليس مهماً ما قاله، فحتى إن كان قد عرفني أم لا فأنا أعرف أنه يكذب ويراوغ ... إنه... إنه يحميها

كريم : لا أفهم عما تتحدثين ... هل اكتشف من أنت أم لا ؟

لورا : دعني أفكر بهدوء قليلاً لأحسم الأمر ... لقد دعاني إلى عيد مولده.

كريم : هذا يعني أنه لم يعرفكِ.

لورا : لماذا؟

كريم : إذا كان قد اكتشف من أنت فلن يسعي لمقابلتك مرة أخرى... ربما قد حدث ما أردته أن يحدث ولكن قبل آوانه.

لورا : ماذا تعني؟

كريم : أعني أنه مؤكد قد وقع في حبك.

لورا : ليس هو من يقع في الحب من النظرة الأولى.

كريم : لِمَ لا...ألم تنظري في المرآة مؤخراً ... جمالك يُمكّنك من اقتحام قلبه بسرعة لن يتوقعها هو نفسه.

لورا : إن كان حقاً ما تفكر به...فعلي أن أتأكد من ذلك إذن...

كريم : كيف؟

لورا : سأذهب إلى عيد مولده وسأتأكد بطريقتي...

كريم : ولكن أعلمي أنها ستكون هناك فهي خطيبته...

لورا : أعرف .. لكن الرجل إذا وقع في الحب لا تحكمه تلك القيود.

كريم : أنا لا أتحدث عن موقفه هو... بل أتحدث عنها... كيف ستتعاملين معها.

لورا : لها وقتها لذلك لن أهتم بها كثيراً، سأصعد إلى غرفتي لأرتاح قليلاً...

كريم : ألم تتغذي اليوم.

أجبته بصوت عالٍ وأنا أصعد درجات السلم.

لورا : لا يهم.

دخلت إلى غرفتي وأنا أكبت شحنة التوتر تلك التي بثها بداخلي، لماذا ارتبكت وأنا معه؟ لماذا فقدت القدرة على السيطرة على انفعالاتي؟ حمقاء... حمقاء.

ولكن تأكد يا أحمد أنك لن تتعامل مرة أخرى مع لورا الحمقاء ...أبدا ... أبدا...

***

-23-

عندما ترى شخصاً مميزاً وتشعر في وجوده بالثقة، وترى في عينيه السعادة عندما تعُد الأيام في انتظار رؤيته

وتتباطأ الدقائق في عينيك، فهذا اذاً لا يُسمى إلا شيئاً واحداً ذلك، هو ما أشعر به منذ أن رأيت جميلة عندما كنت أتحدث معها شعرت بالآلفة، شعرت أني أتحدث مع نفسي، قلت لها ما لا أستطيع أن أتحدث به بيني وبين نفسي، ربما ما ساعدني على ذلك هو وجهها البشوش وملامحها المألوفة والمميزة، أراحني حديثي معها وكأنني كنت في جلسة معالجة نفسية حتى أنني نمتُ مباشرة بعد أن ذهبت إلى البيت وضعت رأسي على وسادتي ولأول مرة، لم أفكر بالمشاكل والهموم، لم أفكر فيما حدث أمس، ولم أخف مما سيحدث في الغد في اليوم التالي لم تغب صورتها عن ذهني أبداً، ظللت أفكر بها وأتمنى رؤيتها، لقد أخذت رقم هاتفها البارحة في النادي، ولكنه مغلق منذ ذلك الحين، لا أعرف لماذا أريد الحديث معها مرة أخرى، فهي مستمعة بارعة والآن بقي يومان حتى عيد مولدي،

وأتت سالي للتجهيز كما كانت تقول، وأتت ومعها عمال لتنظيف المنزل وتزيينه وأيضاً منسقو الموسيقى، وظلت تعدُّ معهم القوائم، لقد دعوت جميلة إلى حفلة عيد مولدي، كم أتمنى أن تأتي لأراها مرة أخرى وأتحدث إليها، وها قد أتى يوم عيد ميلادي، استيقظت وأنا مملوء بالأمل لأني سأرى جميلة اليوم مرة أخرى.

كان الحفل في العاشرة وظلت سالي ملتصقة بي معظم الوقت، وظلت تثرثر وتثرثر كل ذلك ولم تأت جميلة بعد

آمل فقط ألا تتحدث مع سالي، فسالي لن تتحدث معها بلطف أبداً؛ فهي تكره وتغار من كل امرأة تشعر بأنها أفضل منها، أتذكر مرة كنت خارجاً أنا وسالي وقابلت إحدى زميلات الدراسة، فحييتها تحية بسيطة حتى أني لم أصافحها، ظلت عندها سالي تلومني رغم أنها ليس لها حق في ذلك من وجهة نظري، فأنا أفعل ما بوسعي لأوضح لها أني لا أحبها، وأنه عليها أن تنهي أمر هذة الخطبة، لكنها مثل العلقة متشبثة بي بشكل مضجر

وأنا أعلم جيداً أنها لن تتعامل مع جميلة بلطف أبداً، فجميلة أفضل منها في كل شيء؛ فعندما تحدثت مع جميلة رأيت روحها الشفافة، وشخصيتها الفريدة من نوعها، ظللت أنتظر أن تأتي إلى الحفل بقلق وأحدق في ساعتي كل خمس ثوان.

سالي : حبيبي لِم تنظر في ساعتك هكذا؟ لا تهتم بالوقت واستمتع بالحفلة... ألست سعيداً يا حبيبي لأننا معاً في يوم مميز كهذا؟!

أحمد : انتظر أحد أصدقائي فقط وقد تأخر كثيراً.

سالي : ربما شغله أمر ما ولن يأتي.

أحمد : لا أنا متأكد أنها ستأتي.

فنظرت إلي نظرة شك...

سالي : من هي تلك التي ستأتي...؟!

أحمد : لا عليك ...لا تهتمي بما أقول فأنا متوتر بعض الشيء.

سالي : حسناً سيذهب عنك توترك عندما تشاهد هذا.

وأشارت بيدها لشخص ما، الذي أومأ برأسه ايجاباً رداً على إشارتها، وفي هذة اللحظة هدأت الإضاءة كثيراً

واتجهت بقاع الضوء إلى بعض الأشخاص الذين يرتدون ثياباً غريبة، وبدأت الموسيقى، هذه كانت هدية سالي

أشخاص يرقصون رقصة هيب هوب النوع عينه والموسيقى عينها التي أكرهها كثيراً، فأنا لا أميل لهذا الصخب

بينما سالي تعشق هذا النوع، وكأنها تقدم هدية لنفسها وليس لي، وبعد انتهاء الرقص انطفأت كل الأضواء للحظة ثم أضاءت من جديد ليحيي الراقصون المشاهدين الذين كانوا يصفقون لهم بحرارة، فسالي قد دعت كل أصدقائها التافهين

إلى حفلة عيد مولدي، ولم تدعو صديقاً واحداً لي، على كل حال أنا لا أملك الكثير من الأصدقاء و ...

(أتعلم أكره أيضاً هذا النوع من الرقص)

تفاجئت من ذلك الصوت الهادئ العذب الذي همس في أذني فجأة، فاستدرت تجاه مصدر الصوت لأجد جميلة

جميلة بالفعل بل أجمل من الجمال ذاته، ماهذا الشعر الرائع ما شدة جمال هاتين العينين اللتين يتألقان بقوة مع هذا الثوب الأحمر الذي يبرز بياض بشرتها، كانت مختلفة كثيراً عما كانت عندما رأيتها لأول مرة، ظللت أحدق بها قليلاً وعيناي لا تفارقان عينها، ساد الصمت للحظات قبل أن تقطعة هي بأن مدت لي يدها وهي تمسك زهرتي المفضلة زهرة التيوليب.

وهي تقول لي : كل عام وأنت بخير

كانت مفاجأتي واعجابي وانبهاري بجمالها قد ألجمت لساني...

أحمد : اااااااااا ...... امممممم...لقد أتيتِ.

جميلة : ألم تكن تريد مجيئ؟

أحمد : لم أقصد ...أنا ...أنا فقط لا أعرف ماذا أقول ... بالمناسبة هدية رائعة.

جميلة : ولكن هذه ليست هديتي ...انتظر قليلاً.

ثم أخذت شيئاً من حقيبتها ...أسطوانة تقريباً واتجهت نحو منسق الموسيقى والذي كان بجواره بعض الآلات الموسيقية

والتي من بينها البيانو عندها سمعت موسيقى من أروع ما يكون مع بعض المؤثرات الصوتية ثم بدأت هي بالغناء، يا إلهي ما شدة جمال صوتها! كان اسم الأغنية (هل سنعود معاً مجدداً)[6]

جعلت الأغنية عيناي تدمعان فقد كانت مملوءة بالمشاعر، وكأنها كانت تحكي ما حدث لي بعد أن رحلت لورا وتتساءل هل سنعود معاً مجدداً ...ثم انتهت الأغنية وعادت إلي.

جميلة : ما رأيك؟

أحمد : رائعة ... لم أعرف أنكِ تجيدين الغناء بهذا الجمال.

جميلة : هناك الكثير الذي لا تعرفه عني... لقد كتبت هذه الأغنية خصيصاً لأجلك.

عندها أتت هادمة اللذات ومفرقة الجماعات من حيث لا أدري، كانت عينا سالي تنطقان بالغيرة، وهي تنظر إلى جميلة...

سالي : ألن تقدمني يا أحمد؟

ثم مدت يدها لتصافح جميلة والتي رأيت في عينيها هي الأخرى ثقة شديدة، وكأنها سعيدة بغيرة سالي منها وهي تمد يدها هي الأخرى لتصافحها.

سالي : أنا سالي خطيبة أحمد ... من أنت؟... أعتقد أنني رأيتك قبل الآن فوجهك مألوف.

---

[6] * together again –evanescence 2011

أحمد : هي صديقتي جميلة ولا أعتقد أنك التقيتها قبلاً فهي كانت تقيم في الخارج.

عندها تشبثت سالي بذراعي.

سالي : لم أحب أغنيتك... فأنا لا أحب هذا النوع من الموسيقى.

أحمد : يكفي أنني أحببت أغنيتها ولم أحب رقصتك، وأنا من يحكم على الهدايا وليس أنتِ.

كل ذلك كنت أحاول أن أبعد سالي عن جميلة، وأرد بدلاً عنها وأدركت سالي أني أحرجتها ولكن الغريب أنها لم تغضب بل تشبثت بذراعي أكثر.

سالي : إذن أخبرني يا عزيزي أي نوع من الموسيقى تفضل لأحفظ تلك المعلومة في رأسي حتى العام المقبل

وكل عام ونحن سوياً يا حبيبي، من يدري فربما نكون متزوجين في عيد مولدك القادم.

أحمد : منذ متى تهتمين بما أحب وما لا أحب؟!

وقبل أن ترد...

أحمد : جميلة .. تعالِ معي لتشاهدي بقية الفيلا ستعجبك.

وتركت خلفي سالي وأنا أشعر أن الدخان يخرج من أذنيها، وذهبت مع جميلة إلى الشرفة وما أن دخلنا حتى استأذنتها للحظة وذهبت لمنسق الأسطوانات وأخبرته أن يدير الأسطوانة التي أعطيته إياها بعد خمسة دقائق

ثم عدت إلى الشرفة، فوجدت جميلة تقف ساندة ذراعيها إلى السور.

جميلة : الإطلالة هنا رائعة.

أحمد : ليست بروعة تواجدك معي اليوم.

جميلة : هل تغازلني؟

أحمد : من يستطيع ألا يتغزل بالقمر إذا كان في محضره؟.

فابتسمت ابتسامة خجلة ازداد معها وجهها اشراقاً.

أحمد : أتمنى أن تشاركيني هذه الرقصة فأنا أحب هذة الأغنية كثيراً، لها مكانة في قلبي أسمعها في كل عيد مولد لي منذ أن كنت في الثانية عشرة، لكني لم أراقص أي امرأة من قبل وكأني كنت أدخرها لأجلك.

أومأت برأسها ايجاباً...

فوضعت يدها بيدي واقتربنا من بعضنا، أحطتها بذراعي ووضعت هي رأسها على كتفي في تلك اللحظة شعرت وكأني ملكت العالم، شعرت وكأني في الجنة، في نهاية الأغنية شعرت وكأنها ترتعش وكأنها تبكي ولا أعرف السبب، أردت أن ابتعد عنها قليلاً لأرى وجهها وأعلم ما الأمر، لكنها لم تسمح لي بذلك بل ابتعدت بسرعة واستدارت، وكانت سترحل لولا أني أمسكت بيدها وجذبتها نحوي في هذه اللحظة اقتربنا من بعضنا جداٍ كانت عينانا متواجهتان... وكنت أشعر بأنفاسها، كنت أرى عينيها اللامعتين من أثر الدموع، شعرت في هذه اللحظة

تحديداً أني أحبها، بل أعشقها وأنني على استعداد أن أترك كل شيء من أجلها، كان صوت أنفاسنا يعلو على أي صوت آخر من حولنا، قلبي كان يدق بقوة جنونية، كانت أعين كل منا تقتحم أعين وروح الآخر، كانت عيناها تبث فيّ الرهبة والقشعريرة، كدت أنسى بل نسيت كل ما حولي بالفعل، كان الصمت في هذه اللحظة أبلغ من الكلام، أغمضنا أعيننا وكدت أن ألامس شفتيها لأذوب معهما حتى ...

***

-24-

لم أتوقع ذلك لم أفهمه ولم أفهم تصرفاته، ظننت في البداية أنه لم يكتشف شخصيتي، لم يكتشف من أكون

ولم يدرك أنني لورا ولكن إذا كان الأمر كذلك، لماذا عامل سالي بكل ذلك الجفاء أمامي؟ لماذا؟...لماذا أسمعني تلك الأغنية؟ لم تلك الأسطوانة تحديداً فهي ذاتها التي أهديتها له في يوم ميلاده في الماضي، ذلك اليوم الذي طعنني فيه بالسكين، والذي جرحني فيه، ذلك اليوم الذي قررت فيه الرحيل دون عودة، هل كان يختبرني؟ هل كان يختبر إثارة مشاعري وغضبي وحزني، لقد بكيت كثيراً وهو يراقصني، تلك الأغنية أثارت ألم تلك الليلة بداخلي.

تذكرت تلك الجملة التي قالها، تذكرت كيف قالها كيف قال لها: أنا أحبك يا سالي. حتى أن عيناي قد تحول لونهما إلى اللون الأحمر، وكنت على وشك الانقضاض على رقبته التي كانت أمامي مباشرة، ولكن الخطة يجب أن تكتمل وله في خطتي موعد آخر لا يجب أن يموت اليوم، لذلك ابتعدت عنه للحظة وأدرت له ظهري كي أتخلص من نوبة اشتهاء دمه، وأن

يذهب صوت دقات قلبه من أذني، ولتعود عيناي للونهما مرة أخرى

أردت الرحيل لكنه جذبني من يدي مرة أخرى لأعود بين ذراعيه، وفي تلك اللحظة لم أعرف ماحدث لي كدت أن أنسى كم أكرهه، كدت أن أفقد نفسي وأعصابي، إنها المرة الأولى التي اقترب فيها منه إلى هذا الحد، ولكن شعرت بقدوم سالي، فنظرت تجاه مدخل الشرفة فوجدتها تقف هناك عاقدة ذراعيها، تشاهد خاطبها الخائن وهو يقبل فتاة أخرى لمجرد أنها أجمل منها، فتاة لم يعرفها سوى من أسبوع واحد فقط، فتاة لم يرها سوى مرتين فقط...

كانت عيناها تشتعلان غضباً، وقد أنقذني غضبها هذا، فلقد أعماها عني فلم تتعرف إلي ولم تهتم بالنظر إلي من الأساس في تلك اللحظة، بل كانت تنظر إليه هو، تلومه وتعاتبه بنظراتها شعرت بالحرج كثيراً فالموقف حقاً محرج فطأطأت رأسي وأخبرته، أنه علي الذهاب الآن، وغادرت بسرعة، وذهبت إلى سيارتي وأنا حزينة على نفسي.

أنا أضعف معه للمرة الثانية، أضعف مرة أخرى أمام قلبي ...قلبي الأحمق الذي لا يزال يضعه بمكان ما ولكن لن أسمح لهذا القلب أن يعيش أكثر من ذلك، سأحطم الجميع ثم أحطمه، ولكنه محطم من الأساس، حدث في عيد مولده ما كنت أريده تماماً، ولكن مشاعري قد تأثرت بتلك الأغنية لا أكثر، قدت سيارتي حتى الفيلا وما أن دخلت...

كريم : ماذا حدث هل عرفوا من أنتِ؟!

لورا : لا أطمئن لقد عمتهم حقارتهم.

كريم : إذن ماذا حدث؟

لورا : لا أستطيع التحدث الآن سأصعد لأستريح قليلاً في غرفتي.

صعدت إلى غرفتي واستلقيت على سريري، ولكن كالعادة لم يغمض لي جفن منذ أن تحولت، أصبحت لا أنام أبداً ليلاً أو نهاراً، رغم أني كنت متعبة جداً، ولكن تأبى الراحة والنوم الاقتراب مني.

***

-25-

أفسدت علي سالي أجمل لحظة في حياتي، وأحرجت جميلة كثيراً مما جعلها ترحل بسرعة، فاقتربت من سالي التي كانت تنظر إلي بغضب شديد، وكنت أعرف حينها أن طوفان الأسئلة سيبدأ...

سالي : من هذه الفتاة؟ ما الذي كنتما تفعلانه هنا؟ أتخونني وأنا بجوارك؟ لم أرتح لها عندما رأيتها بالداخل ولن أسمح لها بأن تسرقك مني، لم تفعل بي ذلك يا أحمد؟ لماذا لا تأبه لمشاعري وتتعمد جرحي؟ رغم أنك تعلم جيداً أني أحبك... لماذا تختبر صبري وحبي لك طيلة الوقت؟

ضحكت ضحكة سخرية...

أحمد : مشاعرك!! وهل تملكين مشاعراً من الأساس يا سالي؟ وهل تعرفين ما هو الحب لتنطقي بهذه الكلمة؟! وكأنها كلمة بسيطة، وأنت كذلك من تتحدثين عن الصبر، كلماتك هذه ودموع التماسيح تلك في عينيك لن تجعلانني أشفق عليك

هذه المرة لقد ملأ الكيل وطفح، أنا أكثر الناس معرفة بك يا سالي، فأنا أعرفك منذ أن كنا هكذا (وأشرت بيدي للأسفل إشارة الصغر(، أعرف رأسك الفارغ أعرف أنك تافهة، أنانية، مغرورة، تملكين من الغباء ما يمكنك أن تغرقين به العالم...

اتسعت عيناها دهشة مما أقول...

سالي : أنا!! أنا غبية.

أحمد : لو لم تكوني غبية لأدركتي أني أمقتك وأكرهك منذ أن رأيتك أول مرة، لم تظلين متشبثة بي بعد كل ما أفعله بك؟! لو كان لديك ذرة من الكرامة ما كنت صبرتي حتى اليوم، ولكن أعلم سر صبرك هذا الذي تتحدثين عنه!

أدرك جيداً كيف تخفين خسارة تجارة والدك مؤخراً، وما تمسكك بي إلا تمسك بخزنة جديدة فحسب، فكل ما تهتمين به هو نفسك فقط، أتعرفين أكثر ما يغيظني منك؟ هو أنك تظهرين في الشر الذكاء المدهش وتتفننين بتعذيب من حولك؟! تريدين الحصول على كل شيء، لكن ليس أنا يا سالي لن أصبح أحد مقتنياتك أبداً...

تحولت نظرتها فجأة من نظرة دهشة إلى نظرة قوة...

سالي : أعرف أنك لا تعي ما تقول، فأنت غاضب لأني أحرجت صديقتك، لكني كنت أرد لها الصفعة لا أكثر فلقد أحرجتني أنت بالداخل، أتعلم سأعتبر أني لم أسمع شيئاً! لأنني فتاة صالحة ولست كما تصفني ،ولن أسمح لمجرد فتاة حقيرة مثل صديقتك تلك أن تهدم علاقتنا في لحظة غضب منك،

وسأظل ملازمة لك منذ اليوم ولن ترى هذة الفتاة ثانية وإن فكرت حتى برؤيتها ...

أحمد (مقاطعاً) : ماذا ستفعلين؟؟

سالي : تعلم جيداً ما سأفعله فوالدك لن يتوانى للحظة في أن يرد كيدها بعيداً عنك، عندها أمسكت بكفيها وفتحته، ووضعت به خاتم الخطوبة وأطبقته عليه.

أحمد : إفعلي ما يحلو لك.

وعندها شعرت أن أثقل حمل حملته في حياتي قد إنزاح، فهذه هي أول مرة أتمكن فيها من أن أخرج كل ما بداخلي لسالي، لقد منحني حب جميلة قوة أستطيع معها تحمل كل شيء، سأتحمل ما قد يفعله أبي وسالي ووالدها...

كما أني على يقين أن أبي يمكن أن يغيّر رأيه بشأن سالي إذا قابل جميلة؛ فهي أرقى وأفضل بكثير من تلك الدمية التي يريد أن يربطني بها أنا الآن مستعد لمحاربة الكون كله من أجل حب جميلة.

***

-26-

ولأبطل مفعول سموم سالي والتصدي لها كان علي التصرف بسرعة، ولقد أخذت العبرة مما سبق وتعلمت الدرس جيداً وعرفت الآن كيف سأتواصل مع أبي، وسيكون العمل بمبدأ (ضربني ثم بكى وسبقني في الشكوى) ذهبت صباح اليوم التالي مباشرة إلى منزل أبي جلست معه قليلاً وكان قد أخذ دوائه...

أحمد : كيف حالك يا أبي؟

هاشم : بخير يا عزيزي...لكني غاضب منك...كيف يطاوعك قلبك أن تغيب عني ولا تزورني ولا حتى تهاتفني طوال الأسبوع الماضي؟!

أحمد : أعمل يا أبي، أنت تعلم...صدقني لم يكن الأمر بيدي، فعملي كثير جداً، وأنت تعلم أنني ما اشتريت منزلي لولا أنه على مقربة من الشركة، أرجو أن تغفر لي هذا الخطأ يا أبي.

هاشم : وكيف حال ابنتي الحبيبة سالي؟

أحمد : في الحقيقة يا أبي هذا ما جئت لأحدثك عنه...

هاشم : لا يا أحمد لن تناقشني في أمر الانفصال عنها مجدداً.

أجمد : أبداً يا أبي ...في الحقيقة ليس هذا ماجئت من أجله، ولكن جئت لأجعلك حكماً بيني وبينها، أتصدق يا أبي أنها تشك بي!! بي أنا، بل وتتهمني بخيانتها كذلك ومع من؟ مع صديقتي ...لمجرد أنني دعوتها لحفلة عيد ميلادي، رغم أني أراها للمرة الثانية فقط ولكنها غارت منها إنها تغير بشدة.

هاشم : وماذا في ذلك؟! الغيرة دليل على أنها تحبك.

أحمد : ليس هذا فقط بل افتعلت مشكلة من لا شيء، حتى أنها قد خلعت خاتم الخطوبة وقذفته في وجهي وظلت تتشاجر معي وتهينني أمام الناس، لقد أهانتني واتهمتني بالخيانة أمام كل المدعوين، لم تنتظر حتى لتهدأ الأمور.

ولم تترك لي مجالاً للشرح، كرامتي لم تعد تتحمل، كنت أتحمل إهاناتها في السر ولكن يبدو أنها ظنت هذا ضعفاً...

فأصبحت الآن تهينني في العلن.

هاشم : سالي تفعل كل ذلك؟

أحمد : وأكثر يا أبي لقد أحرجت صديقتي والمسكينة لم ترد بل جرت بسرعة للخارج هرباً من الموقف المحرج

أتعلم يا أبي أنت من تسببت بكل هذا.

هاشم : أنا !!؟ كيف؟

أحمد : في كل مرة كنت أناقشك فيها بأمر انفصالي عنها، لم أكن أذكر لك الأسباب حتى لا أشوه صورتها أمامك، ولكن الآن يكفي فكرامتي لا تسمح لي بالارتباط بامرأة تهينني أمام الناس، بل وتتهمني بالخيانة لمجرد أن صديقتي أجمل منها، وهي تغار من كل امرأة أجمل منها، وليست تلك المرة الأولى التي تفعل بها ذلك، فلقد تشاجرت من قبل مع زميلة لي في الجامعة التقيتها صدفة، وسببت لها الحرج في الشارع، أنا لم أعد أحتمل أكثر من ذلك، مللت من كثرة الشجار وفي كل مرة تسمع منها ولا تسمع مني، وتصور لك هي أنني المخطئ ولكنني لم أعد أحتمل إهانة كرامتي أترضى هذا لابنك؟ أترضى لي أن ارتبط بفتاة كهذة؟

هاشم : دعني أهاتفها أولاً لأفهم منها ما حدث، وبعد ذلك سأحكم من المخطئ منكما...

أجل! وصلت لما أريد، تلك هي بداية الاقتناع في نظري، فسالي لن تقف أمامه بنفس تلك القوة التي حدثتني بها بالأمس بل على العكس تماماً، ستفعل كما تفعل كل مرة ستمثل دور الفتاة البريئة، وتتهمني بالخيانة وستبكي ظناً منها أن أبي لا يعلم شيئاً عن الأمر، وتنتظر أن يقتص لها مني فيجعلني أعتذر منها، ولكن هذه المرة قد قلبت اللعبة لصالحي أنا، ومارست السحر على الساحر وكما توقعت تماماً فلقد هاتفها أبي وفتح مكبر الصوت لأسمع ما ستقوله له

هاشم : كيف حالك يا ابنتي ؟

سالي : لست بخير يا عمي

هاشم : لماذا يا عزيزتي ؟ ماذا حدث؟ هل أغضبك أحمد ثانية؟

سالي : أرأيت يا عمي ما فعله بي ابنك الخائن، يخونني مع صديقته تلك، الكاذب الحقير... وبدأت في البكاء والنحيب بشدة ومسكنة...

هاشم : وهل ناقشته في الأمر يا ابنتي فلعله سوء فهم؟!

سالي (وهي تبكي) : لا، فكيف أناقشه وقد رأيته بعيني وهو يقبلها غير عابئ بوجودي؟!

هاشم : اهدأي يا عزيزتي ...الأمور لا تؤخذ هكذا...كان يجب أن تسأليه.

سالي : لا يا عمي يكفي هذا لم أعد أحتمل.

هاشم : حسناً اهدأي يا حبيبتي وكل شيء سيعود كما كان...

وأنهى والدي المكالمة معها...

أحمد : أرأيت تهينني حتى أمامك وتنعتني بالخائن والكاذب والحقير.

هاشم : لكنها قالت أنك كنت تقبلها...

أحمد : لم يحدث ذلك...

لقد دخل شيء ما لعينها، وكنت أحاول مساعدتها لا أكثر، كما أنني أخبرتك أنها المرة الثانية التي أراها فيها

فكيف ستسمح لي هي بأن أقبلها؟ أليس هذا مناف للعقل؟!
كما أنها كما قلت لك تغار، من كل امرأة لمجرد أنها أجمل منها
وفي الحقيقة صديقتي أجمل منها في كل شيء... ليتك تراها يا
أبي حينها ستشعر أن سالي ليست سوى شامبنزي!!

فابتسم والدي من ذلك الوصف...

وعلى ما يبدو أنه اقتنع مما شجعني على أن أكمل...

أحمد : كذلك فالفتيات كثيرات أنا لا أعلم سر تمسكك
بسالي لتصبح زوجة لي، فهي لا تناسبني فرُقي زوجتي من الأمور
التي تهمني كثيراً، فزوجتي يجب أن تكون راقبة في تفكيرها
وأسلوبها، وألا تكن بتلك العقلية لقد نفذت رغبتك يا أبي
وخطبتها، وظللت صامتاً طيلة العام الماضي ولم أحزنها لأجلك،
لأجلك أنت فقط ولكن الزواج أمر مصيري، وعلي أن أختار
عروسي بنفسي وأنفذ كذلك وصية أمي لي، وأن أختار المرأة التي
تحبني وأحبها، أرجوك يا أبي لا تضغط علي أنا أكثر من ذلك،
فإن تصالحت معها سيكون ذلك هدراً لكرامتي ورجولتي وأنت
بالطبع لا ترضى لي ذلك.

لقد شحنت الآن أبي بالطريقة المثلى تماماً والفضل لغباء
سالي.

هاشم : حسناً ...سأهاتف والدها وأخبره بأن الزواج قسمة
ونصيب.

كدت أن أرقص فرحاً...لكني سيطرت على فرحتي وحافظت
على هدوئي، وتصنعت التأثر بعض الشيء، يا إلهي...!

وكأن ظهور جميلة في حياتي قد ذلل كل شيء كان صعباً يوماً ما... وكأن القدر هو من يفعل ذلك إذن فجميلة هي قدري، وبالفعل هاتف أبي والد سالي وأنهيا الأمر، بالطبع والدها استاء كثيراً وحاول تهدأة الأمور ولكن هيهات، بعد ذلك مكثت مع أبي طيلة اليوم تحدثنا عن العمل والحياة والسياسة وبعد أن تناولنا الغداء

أحمد : أبي!! سأغيب عنك الأسبوع المقبل.

هاشم : لمَ؟

أحمد : سأسافر للعمل...لإنهاء صفقة هامة.

هاشم : حسناً...عمل موفق ...وأتمنى لك السلامة والتوفيق في رحلتك، ودعت أبي، وعدت لمنزلي فرحاً أشعر أني أريد الطيران؛ فلقد خف حملي وخفت همومي، وأصبحت خفيفاً كالريشة، لا أعرف كيف أصف سعادتي لقد انتهى أمر سالي تماماً، والآن سأجعل والدي يقابل جميلة ويتعرف إليها تدريجياً، وأقنعه بأمر زواجي بها علي الآن أن أحدثها، أخرجت هاتفي واتصلت بها وقد رن الهاتف أخيراً.

جميلة : مرحباً

جاء صوتها جميلاً عذباً تشوبه بحة حزن وذلك ما يجعله خلاباً.

أحمد : أتمنى ألا أكون قد أزعجتك.

جميلة : لا أبداً...

أحمد : في الحقيقة اتصلت لأعتذر عن الموقف السخيف الذي وضعتك فيه سالي بالأمس.

جميلة : لا يهم فهذا حقها...إنها خطيبتك...

أحمد : لا، ليس من حقها...لأنها لم تعد كذلك بعد الآن.

جميلة : ماذا؟

أحمد : لقد انفصلت عنها البارحة، لقد انتهى أمرها تماماً لا تتصورين مدى سعادتي.

جميلة : جيد أنك تحررت من قيودك.

أحمد : حسناً وكتعبير آخر عن الاعتذار، أتمنى أن تقبلي دعوتي لقضاء يوم العطلة على المركب الخاص بي في ..

جميلة : حسناً سآتي ... معذرة علي الذهاب الآن إلى اللقاء.

أحمد : حسناً إلى اللقاء...

***

-27-

مر يومان هادئان بعد تلك الحفلة وبعدها، ذهبت لأحد الأسواق حيث يبيعون أقفاصاً بها طيور وحيوانات

اشتريت عدة أقفاص تحتوي الحمام والأرانب التي نقتات عليها ونقلتها إلى الفيلا...

كريم : مل كل هذا؟

لورا : نحتاجها لنقتات عليها فالغذاء البشري لن يتوافر كل يوم...

كريم : لم تتحدثي معي عن أمر حفلة عيد ميلاده ... لورا ماذا حدث هناك؟

لورا : لم يحدث شيء.

كريم : إذن متى سينتهي أمره؟!

لورا : لا أعرف.

كريم : كيف لا تعرفين؟

لورا : الأمر ليس مرتبطاً بي ... أنا أؤدي دوري فقط ... وهو ينقل الأمر لمستوى جديد...فهمت.

كريم :إذن ماهو المستوى القادم؟

لورا : لم يبقَ الكثير من الوقت ولكن علي أن أتأكد مئة بالمئة أنه قد وقع في شباكي، سأقابله في نهاية الأسبوع ولكن لا أعرف لماذا يدب القلق في قلبي...؟

كريم : أهم شيء ألا يكون قد كشف شخصيتك.

لورا : لا تقلق ... فلقد ترك سالي من أجلي...

كريم : إذن هذا يدل على حبه لكِ...

لورا : لا أعرف...سنرى...

مر الأسبوع بعد ذلك هادئاً كان يهاتفني يومياً ليطمأن علي... كان يتحدث معي لساعات طويلة لم أكن أهتم كثيراً لما يقول، فلقد جرحني ثانية دون قصد، فإذا كان قد عشق لورا في الماضي كما حكى لي، إذا كان لا يزال يحبها ويذكرها لمَ خان هذا الحب إذن؟ لماذا أحب جميلة؟ الفتاة الأجمل التي تخدعه باسم الحب... فيما تزيد جميلة عن لورا؟ ألا تزيد عنها سوى وجه جميل، وقلب كقطع الليل أهذا ما يحبه؟ أهذا مايريده؟ مجرد دمية جميله تحبه فقط ... لا يهم ان كانت من الداخل مسخاً مشوهاً أهذا هو من عشقتي يا لورا ؟؟

وها قد أتى يوم العطلة وسافرت إليه لقضاء يوم على المركب الخاص به، وصلت إلى المرفأ ووجدت ضوء القارب

مقفلاً، لكني لم أهتم عبرت من حافة الشاطئ إلى القارب فأضاءت كل الأضواء فجأة، لأرى الزينة وأسمع الموسيقى الجميلة، ويظهر لي فجأة وهو يرتدي بذلة رائعة، كان يتوهج حينها ويلمع كالنجوم في السماء...

كان ينظر إلي بعينين مملؤتين بالسعادة والحب، لا يعلم كم انتظرت لأرى الحب في عينيه، هكذا أمسك بيدي وأعطاني علبة من قماش القطيفة تحوي قلادة رائعة، وهو يقول لي: أنا أسف.

جميلة : الأمر لا يستحق كل هذا...لم يكن خطأك من الأساس...

أحمد : لا أنا من وضعتك في ذلك الموقف...هل سامحتني؟

جميلة : لم أغضب منك لأسامحك.

أحمد : لا أعرف ماذا أقول لكِ...أنت رائعة لقد جعلتني أتحرر من تلك المرأة.

ثم جذب يدي وأجلسني بجواره على أحد المقاعد.

جميلة : لكنك لم تخبرني كيف حدث ذلك؟ كيف تقبل والدك الأمر؟

أحمد : لا أعرف... لكن لولاك لما حدث كل هذا لقد منحتني قوة وشجاعة، لم أملكهما من قبل وجدت لساني ينطلق وساندتني الظروف... ذُلل لي كل ما كان صعباً أمامي يوماً...

جميلة : ولكن ماذا عنها؟...لابد أنها تتألم.

أحمد : سالي لا تعرف الألم ولا تعرف الحب، أنت فقط رقيقة وتظنين الناس كلهم مثلك، سمعت أنها سافرت مع والدها للخارج لتقضي شهراً تريح فيه أعصابها أو ربما لتبحث عن زوج آخر لينفق عليها...

جميلة : أتمنى أن تجد أنت فتاة أحلامك قريباً أو ربما وجدت... لا أتذكر اسمها لارا ... لورا.

أحمد : ولمَ أبحث عنها فقد وجدتها؟!

جميلة : لورا ؟؟

أحمد : لا لا أنا لم أعد أفكر بلورا فأنا لا أعرف حتى أين هي ربما هي متزوجة الآن في مدينة أخري كما أنه في حياتي الآن امرأة غيرت كل قبيح فيها.

ثم أمسك بيدي...

أحمد : أنت ... جميلة !! أنت أجمل وأروع فتاة رأيتها في حياتي أنا أحبك يا جميلة

اعتصرت تلك الجملة قلبي فاسم لورا لن يكون أحد أطرافها أبداً ولكني ابتسمت على الرغم من ذلك...

جميلة : أنا !!... بهذه السرعة ... لقد.

أحمد : لا تقولي شيئاً ليس لزاماً عليك أن تبادليني ذلك الحب، ولكن فقط دعيني أنظر إليك وأعطني الفرصة لأثبت لك أني أستحق حبك هذا، وأعدك أني سأفعل ما بوسعي

لإسعادك، ولأذهب عنكِ نظرة الحزن التي في عينيك الجميلتين...

جميلة : أنت شخص رائع ...أنا التي لا تستحق كل هذا.

أحمد : بل تستحقين وأكثر...انتظري قليلاً لدي مفاجأة صغيرة.

ذهب حينها تجاه مشغل الأسطوانات...

أما أنا فنهضت واتجهت إلى حافة المركب لأنظر إلى البحر، ثم تفاجأت بسماع صوتي وأنا أغني تلك الأغنية في عيد ميلاده...

أحمد : لقد أعدها صديقي الذي قام بتصوير الحفل كنت رائعة لقد أبهرتي الجميع، كنت تنظرين إلى البحر أليس كذلك هل تتحدثين إليه وتشكين إليه كما يقولون؟

جميلة : أحب البحر كثيراً أتعلم لقد أمضيت هنا بعض أجمل أيام حياتي مع والديّ رحمهما الله.

أحمد : بالنسبة لي فالبحر لا يذكرني بالسعادة بل له ذكري مؤلمة، كانت لي شقيقة صغري ماتت به غرقاً وهي في الخامسة من عمرها لازلت أذكر ابتسامتها ومرحها ... كانت وكأنها تعلم أن عمرها قصير تحب البحر كثيراً وتلح دوماً للمجيء إليه، لم تكن تعلم أن موتها سيكون بين أنياب تلك الأمواج.

جميلة : رحمها الله ... لا تحزن مؤكد أن جودي الآن في الجنة...

أحمد : كيف عرفتي باسمها؟!

جميلة : لقد ذكرته لي بين كلامك عندما تقابلنا في النادي أول مرة.

أحمد : حقاً ...لا أذكر...

في الحقيقة أنا أذكر جيداً جودي الجميلة التي أتت معك وهي بعمر الرابعة ذات يوم إلى المدرسة، وفي حين لم تهتم بها سالي لأنها لم تكن تحب الأطفال ظللت أنا ألاطفها طوال اليوم حتى أنها بكت وهي ترحل بعيداً عني

انحدرت من عيني دمعة، وأنا أذكرها فسقطت في البحر ووجدت نفسي أسأل ذلك السؤال فجأة...

جميلة : أحمد...لم أحببتني؟

أحمد : لأنك جميلة ورائعة ومميزة لأني رأيت جمال الدنيا فيكِ.

جميلة : الجمال ...أجل فأنت تحب الجميلات.

أحمد : لم أفهم ماذا تقصدين؟

جميلة : لا عليك... لقد تأخر الوقت علي الذهاب.

أحمد : أرجوك ...ابقي قليلاً فقط.

جميلة : لا أستطيع حقاً فلدي عمل هام علي انجازه...

أحمد : حسناً كما تريدين سأهاتفك عندما أعود لنتقابل ثانية...

أجل سنتقابل ... سنتقابل ثانية...

-28-

بت ليلتي في القارب الخاص بي واستيقظت في صباح اليوم التالي على صوت رنين هاتفي، أجبت وأنا نصف نائم ولم أتبين رقم المتصل ولكن صوتها جعلني أنهض واقفاً...

سالي : لم أتصور أنك ستجيب على اتصالي...

أحمد : سالي لِم لم تدرك الأمر بعد؟ لقد انفصلنا وانتهي الأمر.

سالي : لكني لازلت أحبك... وأنا مستعدة لأتغير يا أحمد صدقني.

أحمد : سالي اسمعيني لقد انفصلنا لأننا فقط غير مناسبين لبعضنا البعض، يوماً ما ستجدين شخصاً يحبك كما أنتِ أما أنا فقلبي تسكنه امرأة أخرى وسأتزوجها...

سالي : ولكن...

أحمد (مقاطعاً) : سالي لم أقصد جرح مشاعرك لنبقى أصدقاء كما في الماضي، نحن لم نخلق لبعضنا من الأساس،

أعطِ لنفسكِ فرصة أخرى مع شخص آخر أما أنا فلا يمكنني ذلك...

سالي (ببعض الحزن) : حسناً كما تريد.

وأغلقت الخط... بعد ذلك هاتفت جميلة...

أحمد : صباح الخير...

جميلة : أي صباح...إنها الواحدة بعد الظهر أيها الكسول.

أحمد : لقد استيقظت للتو...هل لديك أي مخططات لليوم؟!

جميلة : لا أظن.

أحمد : حسناً سأعود للمدينة على الفور سأهاتفك حين أصل لنتقابل، سنتقابل في منزلي سأريك مفاجأة صغيرة.

جميلة : حسناً...

عدت بعد ذلك للمدينة بسرعة وبسرعة كذلك أتت جميلة إلى منزلي...

جميلة : حسناً أين المفاجأة؟!

عندها ربطت شريطاً حول عينيها وأخذت يدها لإحدى الغرف...غرفة لا أعرف لمَ خصصتها؟! كان من المفترض أن تخصّ الضيوف فهي واسعة جداً، ولها شرفة تطلُّ على حديقة المنزل، لكني أفرغت تقريباً كل محتوياتها عدا سريراً صغيراً في أحد الأركان، وكرسياً، ووضعت بيانو في المنتصف لتصبح غرفة البيانو

وأمامه أريكة صغيرة... بدون ظهر ثم أزلت عن عينيها الشريط ...

جميلة : ماذا؟ هل تعزف البيانو أيضاً؟

أحمد : في الحقيقة لا ... ولكني اشتريته على أمل التعلم، لم أدخل هذه الغرفة منذ فترة طويلة، أردت أن تعلميني وأن تعزفي لي تلك الأغنية مرة أخرى...

جميلة : سأعلمك ولكن سأعزف لك أغنية أفضل أعرفها اسمها(آخر أغنية أكتبها لك) [7]

وبعد أن انتهت من تلك الأغنية شعرت بشعور غريب لم أشعر به من قبل فنهضت وجلست بجوارها ولكن ظهري باتجاه البيانو...

أحمد : أتعلمين لقد عرفت السر وراء تلك النظرة الحزينة في عينيك؟

جميلة : أي سر؟

أحمد : كلمات الأغنية جعلتني أشعر بقصة ما ربما أحببتني رجلاً ما من قبل لكنه كان أحمق بما فيه الكفاية ليتخلي عنك أعرف كم هو صعب ذلك الألم وعلى ما يبدو أنك أحببته كثيراً.

ابتسمت ونظرت إلى عينيّ بعمق.

---

[7] * the last song I'm wasting on you –evanescence- the open door album 2007

جميلة : طوال عمري لم أحب سوى شخصٍ واحدٍ، أعطيت له قلبي وعقلي وروحي، لكن ما يحزنني أنني لم أعرفه...

فطوال الوقت كنت أتسائل من هي المرأة التي في قلبه، (ووضعت يدها على قلبي) ومن هي المرأة التي في عقله (ووضعت يدها على خدي وتعمقت بنظرتها أكثر) طوال حياتي لم أحبّ أحداً سواك.

ثم نهضت ووقفت باتجاه الشرفة، فانعكست الإضاءة الطفيفة القادمة من الشرفة على عينيها الحزينتين، ورأيت تألق الدموع فيهما، فنهضت من مكاني واتجهت إليها، ووضعت يداي على كتفيها، فوجدتها تسألني..

جميلة : ماذا عنك؟ سألتك ولم تجبني؟

نظرت إلى عينيها الزرقاوين فرأيت أمواج مشاعرها المتلاطمة تطرح السؤال مرة أخرى على روحي، روحي التي هامت في بحر عينيها منذ أن رأيتها لأول مرة.

أحمد : لا أحب أحداً في هذة الدنيا سواكِ.

جميلة : لماذا؟

أحمد :لا أعرف...حقاً لا أعرف ولكنك تمسكين بتلابيب قلبي، وتتحكمين بكل ذرة في كياني، كيف حدث هذا بسرعة؟ لا أعرف ولكن أنتِ وكأنك خلقتِ من أجلي من أجل أن تجعليني أحبك، حتى تصعد روحي ويفنى جسدي في التراب، ولا أدري إن كان حبك في قلبي سيتوقف حينئذ أم لا؟!

ظلت تحدق فيّ وتحولت نظرتها إلى نظرة تستجديني لأثبت ذلك، ولأطفئ ثورة تلك الأمواج في عينيها...فطوقت خصرها بيداي وجذبتها نحوي ووجدتني أغيب معها في قبلة طويلة شعرت فيها وكأن بحور تلك العينين لا تقدر أبداً على اطفاء نيران القلب ، كنت أشعر بها تشتعل حباً ورغبة وشوقاً بين يداي، ولكنها دفعتني بعيداً فجأة

جميلة : ماذا عن خطيبتك؟

أحمد : لقد تركتها من أجلك.

ثم عادت تلك القبلة المحمومة وكأنها لم تتوقف ولكنها دفعتني مرة أخرى.

جميلة : ماذا عن والدك؟

أحمد : سأخبره بكل شيء.

وما لبثت أن عادت حمى القبل ولكنها دفعتني للمرة الثالثة وصمتت لبرهة ثم أخذت نفساً عميقاً ثم نطقت بالسؤال الثالث...

جميلة : وماذا عن... لورا ؟

أحمد : لقد نسيتها...

فاندفعت إلى صدري كالسهم الذي يسكن في هدفه تماماً، وكأن يداي خلقت لتضمها، وكأن رأسها خُلق ليستقر على صدري وصدري لم يُخلق إلا لتذوب عليه رأس غير رأسها، وكأني خُلقت لأفنى منها وفيها واشتعلت بداخلي النيران شوقاً... كانت

هي من أشعلها، وكأنني لامست النار بيداي، فأشعلتني أنا الآخر، ولن يطفئها غير أن يظل جسدي متدفئاً بتلك النيران المستعرة ربما للأبد، فإذا ابتعدت عنها سنيمتراً واحداً سأتجمد ويعود قلبي غارقاً في الظلام والبرودة، فهي في ثورتها تلك أشبه بالشمس التي تحترق من داخلها لتضيء عالمي كله...

استعرت بداخلنا حمى الشوق والرغبة لن تطفأها مئة قبلة ولا ألف ضمة، حملتها بين ذراعي وأرحتها على السرير، ومددت يدي برفق فأزحتُ عن كتفيها الخيطين الممسكين بثوبها الأسود، وكلما انزاح الثوب عن موضع كنت أقبله، أقبله بخشوع وكأني في حرم مقدس، فهي شمسي وأنا كوكبها، نحن وحدنا في الكون كله وكأننا آدم وحواء في لقاءهما الأول، شعرت وكأن كل خلية بجسدها تناديني تدعوني لأستقر في موطني الذي خُلق من أجلي، تدعوا سفينتي للرسو في مرفأها، وتلاحمت أجسادنا كما تلاحمت أرواحنا وبتنا ليلتنا نضم بعضنا، وكأننا نخشى أن يهرب أحدنا من الآخر، كانت ليلة لا تنسى، كانت أجمل ليلة في حياتي استيقظت بعد ذلك لأجد رأسي على صدرها وهي تمسح بيدها على رأسي كما تفعل الأم مع طفلها، لكنها كانت شاردة الذهن وتفكر...

أحمد : صباح الخير...

جميلة : صباح الخير...

أحمد : لقد منحتني أجمل ليلة في عمري، لا تقلقي سأذهب معكِ إلى منزل أبي على الفور، وسأفاتحه في أمر زواجنا...

جميلة : زواجنا !!

أحمد : أجل... فمنذ أن رأيتك رأيت فيك زوجتي، رأيت في حبك ملكة متوجة على عرش قلبي، وفي حنانك أماً رائعة لأولادي، أريد أن أشيخ معكِ وأن أموت بين ذراعيك... لا أريد في حياتي أكثر من ذلك.

جميلة : ولكن... لكنك لا تعرف عني ما يكفي لتقول ذلك.

أحمد : لا يهم...أحبك كما أنتِ لا أهتم من تكونين أنت الآن زوجتي، وقريباً سيُعلن الأمر للعالم كله.

جميلة : أعطني فقط بعض الوقت قبل أن تخبر أباك.

أحمد : لقد ظننت أنك من ستطالبينني بتعجيل الأمر؟! ولكن كما تريدين...

عندها نهضت وارتدت ملابسها وغادرت وتركتني في حيرة من أمري، حيرة لم أعرف لها نهاية...

***

-29-

في اليوم التالي كان كل تفكيري منصباً في أشياء مثل منزلنا كيف سيكون؟ كيف سيكون أطفالنا هل سيشبهونني أم يشبهوها؟ ماذا سوف تكون أسمائهم؟ كيف سنصبح عندما نكون في الخمسين من العمر؟

كل خطط المستقبل منذ ذلك اليوم هي جميلة... كيف سأسعدها وأوفر لها كل شيء... من غذاء وكساء وأمان وحب...

لم أحتمل التفكير بها أكثر من ذلك، دون أن أسمع صوتها، اتصلت بهاتفها فأجابت ولكن كان صوتها على غير العادة بارداً وغريباً، تواعدنا على اللقاء في المساء في مطعم ...عندما ذهبت وجدتها تنتظرني رغم أني أتيت في الموعد، لم تكن طبيعية أبداً عندما رأيتها كان وجهها مرهقاً وشاحباً...

أحمد : كيف حالك؟ تبدين متعبة ...

جميلة : فقط لم آكل منذ فترة.

أحمد : لماذا؟ يجب أن تأكلي فجسدك ضعيف.

جميلة : أردت رؤيتي... لماذا ؟

تعجبت من نبرتها تلك، ولكني مددت يدي داخل جيب سترتي وأخرجت علبة حمراء وضعتها أمامها وفتحتها

كانت تحتوي على خاتمين للزفاف.

تغيرت نظرتها أصبحت نظرة باردة وغريبة لم أفهمها، وظلت تنقل بصرها بيني وبين العلبة...

جميلة : ماهذا ؟

أحمد : أسألك أن تكوني زوجتي التي سأحبها للأبد.

جميلة : ولكن...

أحمد : وهل في الأمر لكن؟

جميلة : لا تسئ فهمي ولكن هذة لحظة مميزة جداً، مميزة لي ولك، واللحظات المميزة لا يجب أن تكون هنا.

أحمد : أتعنين الذهاب إلى مكان آخر... حسناً هيا بنا.

جميلة : ليس اليوم بل غداً...لاقني في شارع ... ولا تأتي بسيارتك سأمر عليك بسيارتي لأصطحبك إلى هناك

أحمد : حسناً كما تحبين ولكن الخاتمين.

جميلة : أبقي العلبة معك...علي الذهاب الآن لقد تأخر الوقت.

وغادرت مسرعة لم أفهم سر ذلك الجفاء فجأة، ولكن إذا كان شرطها لتوافق على الزواج هو أن أطلب يدها بمكان معين فلا مانع عندي.

في اليوم التالي لم آت بسيارتي كما طلبت... وأتت هي لتقلني بسيارتها، عندما صعدت إلى السيارة لم تنظر نحوي حتى ولم تحييني، كانت ترتدي فستاناً أسود اللون وفي عينيها نظرة لا تقل غرابة عن تصرفاتها

قادت السيارة مباشرة بمجرد أن ركبت، وظلت تزيد السرعة بجنون لم أظهر لها قلقي من تلك السرعة، ولكن أنا رجل ولا أقود بتلك السرعة، حتى وإن كنت وحدي في السيارة، ولكن لماذا تتصرف بغرابة هكذا اليوم؟ بعد ذلك دخلت بالسيارة في شارع غير مرصوف ولا يوجد به الكثير من الناس، ولكن به بعض البيوت القديمة نوعاً ما

ومملوء بالأشجار العالية، وتوقفت بالسيارة عند أحد المنازل وخرجت من السيارة فخرجت أنا الآخر بدوري

أحمد : أين نحن؟

لكنها لم تجب على سؤالي بل ظلت تخطو خطوات هادئة باتجاه المنزل، فتبعتها ولم أكد أسير خلفها حتى استدارت إلي فجأة فبادرتُ بالسؤال مرة أخرى...

أحمد : أين نحن؟ لماذ جئنا إلى هنا؟

جميلة : اتعرف هذا المنزل يا أحمد؟

أحمد : لا أعرف يبدو مألوفاً لكن ربما لا أذكر، حسبت في الحقيقة أننا سنذهب لمكان أكثر رومانسية

وليس إلى بيت مهجور كهذا.

جميلة : اقترب !!

فاقتربت قليلاً...

جميلة : أنت تعرف هذا المنزل فقط أريدك أن تتأمله جيداً وتتذكره...

أحمد : ولماذا كل هذا؟

جميلة : لست هنا اليوم لتسأل بل لتجيب...

ثم جلست على درجات المنزل الخارجية المؤدية إلى بوابته، وظلت تمرر يدها على حوائطه.

جميلة : كان ذلك منزلي في أحد الأيام اعتدت أن أعيش هنا...

أحمد : حسناً هو منزل جميل...

فتغيرت نظرتها تماماً وصار الشرر يتطاير من عينيها وأصبحت نبرتها غاضبة جداً...

جميلة : لم أسألك عن رأيك كل ما أريده منك هو أن تتذكر متى رأيت هذا المنزل؟

ثم سارت قليلاً لتقف خلفي، اقتربت قليلاً من المنزل وأنا أحدق به، ولا أعرف ما الداعي من ذلك كله؟ يبدو المنزل مألوفاً لي حقاً لكني لا أذكر أي شيء الآن، فاستدرت لأخبرها أني لازلت لا أذكره، ولكنها لم تكن خلفي.

درت في المكان فلم أجدها وفجأة!! جاء صوتها من الأعلى...

جميلة : ألم تتذكر بعد؟

نظرت باتجاه الصوت فوجدتها تقف بثبات غريب ومدهش فوق غصن شجرة عالية، خفت عليها كثيراً وتعجبت أكثر...

أحمد : كيف صعدتِ إلى فوق !!؟ ابقي مكانك وسأساعدك.

عندها قفزت قفزة مستحيلة من فوق الشجرة، وهبطت أمام ناظري مباشرة ونزلت على قدميها، وكأنها مسافة بسيطة ولم يصيبها خدش حتى اتسعت عيناي من الدهشة، ولكني دهشت أكثر عندما نظرت إلى عينيها

فوجدت لونهما غير ثابت، وكأنها تدور بين اللونين الأزرق والأحمر !!يا إلهي كيف تفعل كل ذلك؟ هل هي شبح ما؟ كل تلك الأشياء وتلك الأفكار حدثت في أقل من ثانية...

جميلة : لا أريد مساعدتك الغبية أريدك فقط أن تتذكر هذا المنزل...

خفت منها كثيراً لذلك لم يكن أمامي بدٌّ من تنفيذ رغبتها فاقتربت من المنزل وصعدت درجاته، فوجدت لوحة صغيرة بجوار الباب كانت مغطاة بالغبار الغزير، مسحت الغبار عن اللوحة كان مكتوباً عليها (منزل المهندس : يوسف كامل) يوسف كامل !! أين سمعت هذا الاسم من قبل؟

..ياإلهي ...

***

-30-

- أين ابنة المهندس يوسف كامل...

لورا : إنها أنا !!

- والدك بالأسفل ينتظرك بغرفة مديرة المدرسة ...

***

- الطالبة لورا يوسف كامل والتي حصلت على لقب الطالبة المثالية لهذا العام...

***

- على كل منكم أن يكتب اسمه في ورقة صغيرة...

أحمد : لورا!! هل يمكنك أن تكتبيه لي فخط يدك أفضل بكثير من خطي...

هل هذه ورقتك (لورا يوسف كامل) اسمك يبدو ذا نغمة كما يقولون موسيقي.

ومضت تلك المشاهد في رأسي، فجأة تذكرت خاتماً على شكل وردة ارتدته جميلة عندما كانت معي بالقارب

(رفعت بصري لأجده هو

لورا : ما هذه؟

أحمد : كل عام وأنتِ بخير... هذا شيء بسيط أتمنى أن يعجبك فأنتِ الوحيدة التي تذكرتني في العام الماضي)

فتحت العلبة، وكان خاتماً رائع الجمال يتخذ شكل الوردة تذكرت زهرة التيوليب، تذكرت البيانو، تذكرت لماذا بكت عندما سمعت تلك الأغنية في عيد ميلادي؟ تذكرت كل شيء... ولكن كيف؟ نظرت نحوها فوجدتها تجلس على صخرة بجوار المنزل وتنظر إلي نظرة غريبة...

أحمد : قلتِ أن هذا كان منزلك...

لورا : كان كذلك...

أحمد : يوسف كامل !!

لورا : هو أبي...

أحمد : هل تمزحين؟

لورا : إذن فقد تذكرت...

أحمد : ذلك يعني أنكِ!! .. لماذا فعلتِ بي ذلك؟ لماذا كذبتِ علي؟ لماذا خدعتني؟ لماذا؟

لورا : هل أصبحت أنا الكاذبة والمخادعة الآن؟ ألم تكذب أنت منذ أول لقاء لي معك؟ (بنبرة سخرية) أنا لا أحب سالي خطيبتي أنا أحب لورا ...لا لا لا أنا أحبكِ أنت يا جميلة ...لورا !! من لورا تلك؟ لقد نسيت اسمها

لازلت كما أنت كاذب وخائن ومغرور، قتلت لورا بخيانتك تلك لمجرد أنك رأيت في سالي فتاة أجمل، وخنت سالي عندما رأيت جميلة والتي هي أجمل منها.

أحمد : ما الذي تقولينه؟ كل ذلك غير حقيقي لقد أحببتك لأنك ما أنت عليه، أحببت جميلة لأني رأيت بها صورة أخرى من لورا... لورا التي تركتني ورحلت وتريد العودة الآن لتجدني لازلت كما أنا أجلس وأبكي عليها

هل أنا المغرور الآن؟ أخبريني؟

لورا : ماذا رأيت في جميلة لتقول أنها مثل لورا؟ هل أعجبتك تلك اللعوب التي قبلتك في لقائكما الثاني؟ بل وازداد حبك لها عندما سمحت لك بمعاشرتها... لتطلب يدها بعد ذلك مباشرة، لقد خيبت ظني لقد تمنيت أن ترفض، تمنيت أن تظل متمسكاً بحبك وبمبادئك... لكنك اخترت مصيرك بيديك...

أحمد : ولكني وجدت في جميلة طيبة لورا وحنانها.

لورا : تقصد حماقتها لو لم تكن حمقاء ما كانت أحبتك ذات يوم، جميلة لم تكن تكره أحداً في هذة الدنيا سواك كانت تتمنى موتك في كل لحظة...أتفهم؟ أنا أكرهك أكرهك...

أحمد : أنت تكذبين الآن أعلم أنني لازلت بداخلك، لم تكوني معي تلك الليلة لأنك خططت لذلك، لقد استسلمت لذاتك

تلك الليلة، أتذكرين؟ ليس لدي دليل أقوى فأنت لازلت تحبينني...

عندها ابتسمت ابتسامة ملؤها الثقة والخبث واقتربت مني قليلاً...

لورا : تلك الليلة التي تتحدث عنها لم تكن سوى خدعة، جزء مما أردت فلا وجود للورا التي كانت تحبك بعد الآن.

أحمد : ترى من أنتِ الآن؟ أين أنتِ منهما؟ هل أنتِ جميلة أم لورا ؟

لورا : أنا كلاهما أنا لورا التي لازالت عبقرية وجميلة، التي لازالت تكرهك... لك أن تتخيل عندما يجتمعان أنا مخلوق صنعته بيديك، مخلوق ظلت المعاناة تصنعه طيلة خمسة عشر عاماً، لست سوى مسخ مشوه بقناع فاتن...

أحمد : لكني لازلت أرى لورا في عينيك...إنها تجري في دمك.

لورا : إذن فأنت أعمى فلورا في قبرها...

أحمد :إذن سأوقظها وأقتلك أنتِ...

لورا : أتتحداني؟

أحمد : أجل .. وخطوتي الأولى أني لازلت أقولها لك...أنا أحبك.

لورا : قمت بخطوتك الأولى الآن حان دوري.

عندها ركضت نحوي ودفعتني لأسقط أرضاً ولا أذكر شيئاً بعد ذلك سوى الظلام...

الفصل الثالث

-31-

استيقظت بعد ذلك وأنا لا أذكر شيئاً مما حدث قبل أن أفقد الوعي، بدأت ذاكرتي تعود لي تدريجياً أتذكر صوتها

- ماذا تريد الآن؟

- الموت...

- عندما أريد أنا ستموت.

أدركت الآن حقيقتين حقيقة أني وجدت الفتاة التي لطالما بحثت عنها أو عن مثيلة لها، وحقيقة أنها جنت تماماً وأصاب عقلها شيء ما، ليست تلك لورا التي أحببتها، ولكني أصدق وأؤمن أنها ستعود يوماً ما مهما كان الثمن...مهما كان أذكر من البارحة ألم ظهري، وتنميلاً بذراعي، لكن أكثر ما يؤلمني الآن هو صدري وكأن قلبي قد انفلق إلى نصفين من شدة الألم... فتحت عيناي لأجد نفسي بمكان غريب، فيلا واسعةً جداً كل أثاثها أسود اللون...

وحتى ستائرها سوداء رغم ضوء الشمس الساطع في الخارج، فهو لا يقترب من نوافذ هذا المكان، أفقت فوجدت نفسي على أريكة سوداء اللون وخلفها مرآة ضخمة، وأمام ناظري طاولة مستديرة كبيرة لونها أسود كذلك، وعن يميني بوابة معدنية كبيرة يكسر سواد طلائها الزجاج الموجود بها، وعلى اليسار 4 درجات ثم مساحة صغيرة تؤدي إلى السلم الذي يؤدي للطابق الثاني، وتحت السلم مملوء بالأقفاص التي تحتوي على الطيور والحمام والأرانب كان المكان يبدو غريباً وكئيباً ومخيفاً...

كريم : لا تخف لازلت حياً...

فاجأني الصوت فنظرت خلفي لأجد وجهاً أعرفه جيداً، إنه كريم الذي كان صديقي بالمدرسة ولكن لمَ هو هنا؟ وأين نحن؟ وأين ذهبت لورا ؟ كلها أسئلة تجمعت في فمي فجعلتني صامتاً...

كريم : أعرف ماتشعر به...فلقد مررت به أنا أيضاً ولكن اطمئن فنحن الآن بمنزلنا.

أحمد : أي منزل؟

كريم : نوعنا ...أعلم أنك لا تفهم ولكن..

لورا (مقاطعة) : دعني أنا أتولى مهمة الشرح له.

ظهرت لي فجأة من أسفل السلم تحمل بيدها كأساً زجاجية بها سائل أحمر اللون، أسرعت إليها ووقفنا متقابلين...

كانت تنظر إلي بعينين ملؤهما القوة والتحدي، ثم قربت الكأس من عينيّ وهزته أمامي قليلاً، لا أعرف ما الذي كان بالكأس؟ ولكن كان ما به يصيبني بالعطش الشديد !كنت منجذباً لذلك الكأس بشكل غريب، وكأنني لم أشرب أي شيء في حياتي وكأن حياتي متوقفة على ما بداخل الكأس، وفجأة تركت الكأس من يدها ولكني أمسكت به بسرعة قبل أن يسقط على الأرض، ولم أسمح لنقطة واحدة بأن تغادره، وفجأة فقدت السيطرة على حواسي وشربت ما كان بذلك الكأس دون أن أعرف ما هو... كان ذلك السائل لا طعم له لزج بعض الشيء ولكن لزوجته أقل من لزوجة الزيت، وبعد ذلك أبعدت الكأس عن فمي، وأنا لا أعرف ما الذي كان بداخله وجدتها في تلك اللحظة تنظر إلي نظرة شماتة...

أحمد : ما الذي حدث؟ ماذا فعلتِ بي؟

لورا : حولتك لشيء مفيد أستطيع الاستفادة من وجوده...

تعجبت من كلامها لولا أنها أكملت...

لورا : أنت الآن ديسموديوس روتديوس...

كريم : لم تعد انساناً بعد الآن...

أحمد : كيف؟ أنا لا أفهم ما تقولانه...

كريم : ما شربته الآن كان دماً...

اقشعر بدني من تلك الكلمة وأصابني الأعياء وأردت التقيئ...

لورا : كما قال لك أنت الآن مصاص دماء فعلي.

أحمد : كفى مزاحاً يا جماعة.

كريم : نحن لا نمزح إنها حقيقة...

لورا : أخبرتك أنني لازلت عبقرية...

كريم : إنها دكتورة متخصصة بالجينات الوراثية، لابد وأن قلبك الآن يؤلمك قليلاً هذا طبيعي فلقد حقنت بجينات خفاش مصاص للدماء، تذكرت في تلك اللحظة تنميل ذراعي بالأمس...

أحمد : يا إلهي لقد جننتِ بالفعل كيف تفعلين بي ذلك؟ وأنت كيف أقنعتك بذلك؟

لورا : لأنه الآن مثلك تماماً ليس لديه خيار آخر فلن يساعدكما أحد سواي أنا، ولا تستطيعون أي شيء سوى الطاعة لكل ما سآمركما به...

أحمد : ماذا إن رفضت أن أطيعك...؟!

لورا : ستدفع حياتك ثمناً لتلك الغلطة الفادحة، وليس حياتك أنت وحدك بل ولابد أن أباك قد اشتاق لرؤية أختك وأمك، يمكن أن أدبر له لقاءً معهما لا ينتهي ما رأيك؟ وربما قتلت حبيبتك كذلك...

أحمد : اذا أردتي قتلي فاقتليني لا أهتم، ولكن إياك والاقتراب منه... ماذا حدث لكِ؟ لم تكوني بهذا القدر من الجنون يوماً، كنت ذكية وطيبة، ما الذي حدث لعقلك؟ ولكن صدقيني أياً كان ما تريدين لن أفعله...

لورا : لا أطلب الكثير صدقني كل ما أطلبه أن تبقى معي هنا.

فنظرت لها نظرة شك قبل أن تكمل...

لورا : وأن تنفذ ما فعلته معك مع فتاة أخرى...

أحمد : وما الذي فعلتهِ معي؟

لورا : مثلت عليك الحب وأوقعتك في شباكي، وجعلتك تطيعني، أعلم أنك لا تحبني الآن بل تحب جميلة ولكن جميلة هي مجرد قناع، وجميلة هي من تريد قتلك، أنا فقط أمنعها؛ بأن أقنعها أنك ستنفذ أوامرنا، صدقني الأمر بسيط ستوقع فتاة في شباكك وتحضرها إلى هنا هذا كل ما عليك فعله...

أحمد : لست مخادعاً مثلك لن أفعل ذلك...

لورا : إذا لم تنفذ ذلك فأمامك يومان فقط لتموت، عليك شرب أكثر من نصف وزنك من الدم وإلا مت وأنا لا أضمن إن عدت لوالدك أن تقتله لمجرد أنك جائع، فنوبة الجوع مريعة وعواقبها لن تصدقها، وأنا فقط من يعرف كيف تتحكم بها إن رفضت أوامري، إما ستموت جوعاً أو تقتل أباك بيديك... اختر.

أحمد : أنا لا أصدق هذا الهراء... بالطبع لم تحوليني إلى وحش يفقد عقله لمجرد أنه جائع، كيف أتى عقلك بتلك التمثيلية الهزلية؟! وتتوقعين مني تصديقها، لست أحمقاً يا لورا لتنطلي عليّ كذبتك مرة أخرى من تظنينني؟ نعم أحبك ولكن هذا لا يعني أنه ليس لدي العقل لتمييز صدقك من كذبك.

عندها أتى كريم من خلفي، وهمس بأذني أن آتي معه وجذبني من يدي، وأنا لازلت محدقاً بها، ذهب بي كريم لغرفة واسعة فارغة عالية السقف.

كريم : لا تحاول أن تجادلها فبإمكانها قتلُ أبيك حقاً بإمكانها قتل أي أحد.

أحمد : كيف تصدق هذا أيها المهندس المرموق...

كريم : أصدق لأني رأيت جثة سمير بعينيّ ورأيت كيف تقتل، إنها كما قلت أنت تماماً وحش، لقد هددتني بقتل أمي وأخواتي إن لم أطعها، وبالمقابل تعطيني بعض المال لعلاج أمي، أنت لا تدرك الأمر صدقني، ولكن إن لم نفعل ما تطلبه ستقتلنا بدم بارد، الأمر بسيط سنستدرج الفتيات إلى هنا وانتهى الأمر.

أحمد : بما تحاول أن تقنعني بالضبط ؟ لست وضيعاً لأخدع الفتيات، هذا ضد كل مبادئي لا يمكنني فعل ذلك.

وخرجت من الغرفة غاضباً، فوجدتها تقف في مكانها تنظر إلي وعلى وجهها ابتسامة خبيثة.

لورا : ماذا قررت؟ تموت أنت وأباك وكل من عرفتهم يوماً؟ أم تحضر لي فتاة إلى هنا؟ وينتهي الأمر عند ذلك.

أحمد : سأرحل لن تستطيعي إيقافي أو جعلي أفعل السخافة التي تطلبينها...

لورا : إذن اخترت الموت يؤسفني ذلك حقاً، أتعرف ما آسف عليه حقاً هو أنك للمرة الألف تثبت لي كم تكرهني وتكره

راحتي، تثبت لي كم كنت حمقاء عندما ظننت للحظة أنك تحبني، وأنك لم تكن تكذب، ولكن قبل أن ترحل أجبني على سؤال واحد، لماذا قلت أنك كنت تحبني؟ لماذا تكذب علي؟ قلت أنك خطوت خطوة تجاهي فأين ذهبت تلك الخطوة؟ لماذا في كل مرة تختار غيري وتختار أن تدمرني أنا؟!

أحمد : لم أكذب عليكِ يوماً لقد أحببتك في كل مرة لقيتك فيها، في الماضي والآن ولازلت أحبك ولكن ليس معنى ذلك أن أفعل ما لا أريده، وأجعلك تظلمين الناس، وتحطمين قلوبهم مثلما فعلتِ معي، لن أجعل الآخرين يشعرون بمدى الجرح الذي سببته لي؟ لِم أجعل الأبرياء يعانون؟

لورا : أي أبرياء؟ أنت لا تعرف تلك الفتاة بقدر ما أعرفها أنا... ليست بريئة أبداً فقط أريد عقابها، أليست تلك هي العدالة؟ كلكم عاقبتموني... على شيء لم تكن لي يد فيه، وهو أني لست جميلة المظهر، والآن ألا يستحقون هم العقاب على ما فعلوا؟ لقد فعلوا الكثير ليستحقوا ما ستفعله بهم، هم ليسوا أبرياء، بل هم شياطين، كيف أطلقت حكمك عليهم وقلت بأنهم أبرياء، وأنت لا تعرفهم؟ وتتهمني أنا بالشر؟ أنا لست شريرة يا عزيزي أنا أمثل العدالة هنا فقط، أنت لم تسمع دفاعي قبل أن تطلق أحكامك، لكنك فعلت ذلك لتظل أمام نفسك البطل الذي رفض ما أسميته أنت بالوضاعة، ولكن ماذا عني أنا، ألم تجرحني؟ ألم تخطب الفتاة التي لا تحبها لتجرحني؟ ألم تكن تلك وضاعة؟

أحمد : لِم لا تصدقين حرفاً مما أقول؟ لم أخطبها لأني أردت ذلك.

لورا : إذن أثبت لي، افعل ما أطلبه ويمكنك التوبة بعد ذلك، هم سيسامحونك أما أنا فلا أعرف، ولازلت عند كلامي فإذا لم تفعل ما أطلبه سأقتل أباك. قد لا تصدقني ولكن هذا ما سأفعله، سأملأ هذا القبو بالجثث ولا تظن أني سأتركك تموت، أستطيع الحفاظ على حياتك وأجبرك على مشاهدة كل جثة أحضرها إلى هنا لن تستطيع الهرب مني، هل تعتقد حقاً أن بامكانك الرحيل وإدارة ظهرك لي وكأن شيئاً لم يكن، لا ... لست حمقاء لأترك الخيار لك، فالخيار كان ولازال لي أنا فقط، ستنفذ ما أريد سواء رغبت بذلك أم لا، أنت لا تعرف إلام تحولت وكيف أصبحت، أنا أسوأ كوابيسك.

أغمضت عيني وقد شل تفكيري تماماً ماذا أفعل؟ هل أطيعها وأخالف مبادئي؟ أم أتركها تقتل أبي أمام عينيّ لا أستطيع تخيل الأمر حتى رغماً عني أخترت الأسهل...

أحمد : سأفعل...

لورا : إذن اخترت أن تطيعني.

أغمضت عينيّ ندماً فالخياران كلاهما مر...

أحمد : أجل...سأفعل ما تريدين.

لورا : جيد...كريم سيعلمك كيف تستعمل قدراتك الجديدة، وسيعلمك كيف تقتات كذلك، أمامكما أسبوع واحد لتكونا جاهزين وبعدها سنبدأ .

فكرت جيداً بالأمر يمكنني أن أستغل حبها لي لأثنيها عما تريد، وأنقذها من هذا الجنون الذي غرقت فيه يمكنني أن أجعلها تتوقف عما تريد، كيف لم أفكر بذلك أنا لازلت أحبها حدّ الجنون، ويمكن لحبي هذا أن ينقذها حتى ولو كان الثمن هو حياتي، أستطيع أن أوقفها إذا أيقظت لورا بداخلها، أعلم أنها تكذب بشأن تلك الليلة في منزلي، لم تكن مشاعرها مزيفة، يمكنني إيقافك يا لورا وسأفعل...

***

-32-

بدأ يتعلم مهاراته الجديدة وهو لايزال مندهشاً مما أصبح عليه، ولكنه تأقلم نوعاً ما، كنت أراقب تدريبه من نافذة الطابق الثاني المطلة على الصالة الواسعة، وكان هو كلما التقت عيناه بعيني أرى التحدي كان يتحداني بكل نظرة، وفي أحد الأيام بينما كنت أراقبهما...

لورا : تحتاج لتطوير مهاراتك في الشيش كذلك ...

ثم قفزت من النافذة إلى الصالة واقتربت منهما...

كريم : حسناً سأترككما...

ألقيت له سيفاً ولكني لم أمسك بالسيف الآخر...

أحمد : وأنتِ كيف ستبارزين؟!

لورا : سأبارزك بلا سيف وعليك أن تتغلب علي...

أحمد : هل تمزحين؟

لورا : وهل أبدو كمن يمزح؟!

أحمد : سأهزمك بسهولة...

لورا : دعني أرى ذلك...

بدأ يسدد ضرباته نحوي ولكني كنت أتفادى كل الضربات، ثم بخفة يد وحركة سريعة جعلت سيفه يطير في الهواء ليسقط في يدي أنا.

لورا : لقد خسرت...هل تريد إستعادة هذا؟ من حقك...

أحمد : لماذا لازلت تحتفظين بذلك الخاتم المشكل على هيئة وردة...؟

لورا : عليك أن تتدرب على الشيش أكثر من ذلك...

أحمد : لماذا لم تجيبينني؟

لورا : فأنت يجب أن تكون جيداً ومستواك عالٍ لأنك ستحتاج لذلك.

أحمد : لماذا تخافين من الحقيقة؟

لورا : أنا لا أخاف شيئاً؟

أحمد : إذن لماذا تهربين من الإجابة على سؤالي؟

لورا : لأنه تافه...

أحمد : ولكني أريد أن أعرف إجابته...

لورا : لم أتخلص من ذلك الخاتم لأني لا أرمي شيئاً لم يبلى بعد مثلما لم أتخلص منك، الأمر مماثل ولكن هاهو الخاتم...

ثم خلعت الخاتم من يدي وألقيته أرضاً، ووضعت قدمي فوقه ليتكسر تماماً...

لورا : الآن أصبح مثالياً للرمي...

أحمد : أتظنين أنك أقنعتيني هكذا؟!

لورا : إذن ما الذي سيجعلك مقتنعاً بأنني لست لورا التي تعرفها؟

أحمد : لن تقنعيني أبداً...

لورا : ثق بي...ستقتنع...ستقتنع بعد ثلاثة أيام فقط..

***

-33-

مر أسبوع وأنا في هذا الجحيم لقد وضعت بي جينات لخفاش، وحولتني لكائن آخر، وأصبحت مجبراً على طاعتها والعيش في هذه الحياه الغريبة التي لا أعرف لها نهاية، ولا أعرف إذا كان بامكاني أن أقنعها أن تتخلى عما تخطط له أم لا؟ هل سأقتل ذلك الحزن والكره بداخلها أم لا؟ كل ليلة أصبحت أراقبها من شرفة غرفتها وأجدها تعزف البيانو ولكنها لم تعد تغني كما اعتادت أن تفعل؟ بل كانت تصرخ وتآن وتبكي طوال الليل كانت لا تنام أبداً كانت تمسك رأسها بكلتا يديها ثم تخبط رأسها في الحائط وهي تبكي، لقد أصابها الجنون التام لا أعرف لماذا تفعل كل ذلك؟ ولماذا حدث كل ما حدث؟ قد أكون جرحتها دون قصد في الماضي، ولكن لا أعرف كيف أعوض عليها؟ كيف أجعلها تعود لطبيعتها؟ ولكن ما حدث في نهاية ذلك الأسبوع جعلني أفقد الأمل تماماً، حيث جمعتنا أنا وكريم وأوقفتنا أمامها، وكانت تحدثنا وهي تقف أعلى الأربع درجات في البهو الرئيسي للفيلا...

لورا : اسمعا كل منكما عليه أن يفعل كل ما أمره تماماً، وأي خطأ صغير سيكلفكما حياتكما ثمناً له، قد تتسائلان لِم حولتكما؟ ولكن إجابة هذا السؤال ستتضح عندما تدركان أنني لم أجذبكما لتحباني إلا بالثقة (وكانت تتوجه حينها لكريم ثم وجهت نظرها إلي)، وبالحب، فخيانة الثقة وجرح الحب هما أكثر ما يؤلمان الإنسان فأنا خبيرة بذلك ثم توجهت نحو كريم...

لورا: أما أنت فمهمتك بسيطة وهي أن تجعل نورا تحبك.

كريم: نورا !! تلك الفتاة التي كانت معنا بالمدرسة، والتي كانت تسخر منكِ دوماً وتنشر عنك الإشاعات؟

لورا : تماماً لن يكون صعباً عليك أبداً أن تجعلها تقع بحبك، فقط أوهمها بأنك أصبحت الآن غنياً جداً وصاحب مركز عالٍ، وأنك كنت تحبها منذ زمن، ولكنك كنت تخجل من مصارحتها بذلك، وستصدقك على الفور وكل ما عليك فعله هو أن تقنعها أن تأتي معك إلى هنا، أما أنت(وتوجهت بنظرها إلي) فمهمتك امرأة أيضاً ولكنها صعبة بعض الشيء، ولكني أثق بك فأنا أعرف تأثيرك على النساء جيداً مهمتك هي هبة...

أحمد : هبة !! ... صعب أن أجعلها تثق بي فأنتِ لا تعلمين أنها قد ارتدت الحجاب، وأصبحت متدينة جداً بعد أن غادرت المدرسة لن تثق بي بهذه السهولة أبداً.

لورا : أعرف هذا جيداً...لذلك أدرك أنه توجد طريقة واحدة فقط لجعلها تثق بك عليك أن تخطبها.

أحمد : ماذا !؟ ... مستحيل... كما أنها لن توافق... فهي تعرف أني كنت خاطباً لسالي.

لورا : بل ستوافق ... هبة كانت صديقة لسالي، وتساعدها ظاهرياً أما الحقيقة فهي كانت تكرهها، وتحقد عليها، وتتمنى أن تصبح مثلها، وأن تملك ما تملكه هي، لذلك إذا أقنعتها بأنك تركت سالي من أجلها لأنك أدركت أنك أسأت الاختيار، وأنك تريد فتاة متدينة مثلها فستوافق على الفور، وسيزيد اقتناعها بك إذا نفذت ما سأقوله لك حرفياً اليوم ستذهب إلى النادي...حيث تجلس هي بالمطعم كل يوم، ستجلس على إحدى الطاولات القريبة من طاولتها التي تجلس فيها مع صديقاتها بعد ذلك، ستتجه نحو الكافيتيريا وتتعمد أن تمر من أمامها وإذا رأتك ستأتي خلفك، وستطلب طلبها المعتاد وستطلب الطلب ذاته، وتنطق الجملة في نفس اللحظة التي تنطق هي بها...

ستندهش هي من ذلك أما أنت فعليك الابتسام دون أن تنظر لها، عندها ستحبك هي، ولكن لا تسلم عليها باليد...

حدثها قليلاً واسألها عن أحوالها ثم أرحل...

أحمد : هذا فقط ؟؟؟

لورا : هذا كافٍ جداً لأول ظهور أما الباقي فستعرفه لاحقاً...

أحمد : حسناً لا مشكلة...

فعلت بالضبط ما قالته ولقد وقعت المسكينة بالفخ بالفعل، وبعد أن انتهيت عدت للفيلا ووجدتها تنتظرني.

لورا : جيد... يبدو أنك تحرص على حياتك جيداً...

أحمد : أين كريم ؟؟

لورا : سيأتي قريباً ...ربما بعد ساعة.

أحمد : جيد وقت كاف لنكمل حديثنا.

لورا : وهل بيننا حديث؟!

أحمد : لماذا تفعلين كل ذلك؟؟ ممن تنتقمين ...منا أم نفسك؟

لورا : ماذا تظن أنت؟

أحمد : أظن أن نهاية ما تفعلينه هو جرح أكبر من جرحك القديم.

لورا : أما أنا فأظن أن نهايتي هي الراحة...لأنني سأخلي العالم من أمثالكم.

أحمد : وهل تظنين أنه بجرح الأخرين، وجعلهم يعيشون ماعشتيه ستشعرين بالراحة؟! إن القتل أهون بكثير عند المرء من أن تجرح مشاعره، عندها رأيت في عينيها نظرة سخرية مما أقول...

لورا : جرح المشاعر... هذا ليس أكثر من خطوة أولى.

أحمد : لا أفهم...

لورا : ستفهم على الفور ولكن اختبئ الآن...

-34-

(لدي قائمة من الأصدقاء السابقين سيخبروك بأني ...)[8] لا لن يخبروك أني مجنونة بل سيخبرونك بأني في غاية الجمال، بعض الفتيات يغرن مني، لا بل كلهن يغرن مني ... اسمي نورة عادل حمدي عمري 26 عاماً وغير مرتبطة حالياً، أعتقد أني أجمل فتاة في مدينتنا بل حتى أنا أجمل من سالي صديقة طفولتي أو ربما نحن متعادلتان، فعلي أن أعترف بأن حظها أوفر من حظي كثيراً، فقد تمكنت من الإيقاع بسمكة القرش أحمد، لم أكن أتوقع لهذا الرجل الكثير في صغرنا، كان وسيماً نعم، وحالتهم ميسورة ولكن انظروا لهذا الرجل الآن فهو يمتلك شركة وسيارة وفيلا رائعة، وسمعت أيضاً أن لديه يختاً رائعاً في الاسكندرية، كم أتمنى الحصول على رجل مثله... مهلاً لماذا رجل مثله؟ بل رجل أفضل منه بكثير، ليس رجل أعمال مثله، فمهنته مهددة بالخسارة في لحظة، واذا كنتُ زوجته وحدث شيء كهذا فسأنفصل عنه فوراً، لا أطيق الحياة بدون المال فهي حقاً لا تطاق، أعتقد أني معقدة من نقص المال، وفي عُرف

---

[8] * part of taylor swift's song (blank space)

مجتمعنا الغبي ووسط الكثيرين الذين يدعون المثالية، وإذا سمعوا أني انفصلت عن زوجي لأنه قد أفلس بين ليلة وضحاها فسيقولون انظروا لهذه الفتاة عديمة الأصل التي لم تقف بجوار زوجها في محنته ولم تبع ذهبها، كهؤلاء النسوة الغبيات اللواتي بدأن تلك العادة المقيتة عندما يكون أزواجهن في محنة، تركض كل واحدة منهن لتبيع ذهبها، وتعطيه أموالها المدخرة، وعندما يخرج الزوج من تلك المحنة بكل بساطة، يقول لها شكراً، ولكن كان هذا واجباً عليكِ ولا يُعوض لها الذهب أو المال؛ فتبدأ بندب حظها وسبه بأقذع الألفاظ. لأنه لم يقدّر ما فعلت، لكن عزيزتي أنتِ الغبية هنا، ولا أحد سواكِ فبرغم كل ما يحدث حولنا كل يوم، وما نقرأه على صفحات الانترنت، لازلتِ أنتِ تلك الزوجة المضحية المتفانية، ونسيتي حقوقك ونسيتِ نفسك وتفانيتِ لأجل زوجك، وتظلين تُذكِّرين نفسك، وأنتِ تفعلين ذلك أنه من المحتمل أن يكون زوجك غير البقية ولكن بناءً على خبرتي في عالم الرجال كلهم سواء، فهم لا يحبونك لأنك نسيتِ نفسك من أجلهم، ولكن يحبونكِ عندما تعذبينهم، عندما تكونين مغرورة، متطلبة، أنانية عندما تفعلين بهم ما يسمى في رأيي... عذاب الحب... عندما يركعون أمامك ويُقبلون يدك فلا تقبلين ذلك لأنه تصرف طفولي وتلوين شفتيك- المغطاتان بأغلي أنواع حمرة الشفاه التي اشتراها هو لكِ بنصف مرتبه- وتمتعضين وتتركينه بداخله قلبه يعتصر ألماً ... لن يتوقف هو عند تلك اللحظة كثيراً بل سيصبح شغلهُ الشاغل هو كيف يرضيكِ ويرى الابتسامة على وجهك ، التي لن

ترينه إياها أبداً وان ابتسمت يجب أن تريه الابتسامة الرسمية الخالية من المشاعر.

آه يا الهي علي أن أعمل في وظيفة تشبه مستشارة العلاقات الزوجية، ولكني سأنصح الفتيات فقط حتى لا تبقي في هذا البلد فتاة غبية تبيع ذهبها بعد ذلك، فالذهب والمال هما سلاحك بعد صحتك عزيزتي فالرجال تروح وتجيء ولكن يبقى قرطكِ الماسي في خزانتك ولا يكن بالولاء لامرأة أخرى سواكِ...

كنت أريد ان أحصل على وظيفة كبيرة ربما مديرة في شركة أو شيء ما، ولكن للأسف الشديد تخرجتُ في ما يسمونها كلية الشعب وهي كلية التجارة حتى أني لست ماهرة في اللغة الإنجليزية، ولكني أعرف أنه في مرحلة ما كنت سأصبح متفوقة، وأدخل كلية مرموقة لولا تلك الحقيرة لورا، فقد امتنعت عن تلقيني الإجابات، من تظن نفسها؟ كيف ترفض أن تجعلني متفوقة مثلها؟ بل أفضل منها... أنا أستحق ذلك أما هي فلا، هي ليست جميلة مثلي، أتذكر نظرتها الغريبة لي عندما أخبرتها أن ابن جارنا الذي يعمل والده مستشاراً وحالتهم المادية ممتازة كان ينظر إلي يومياً وأنا عائدة من المدرسة، نظرت لي من أعلى لأسفل ورفعت حاجبيها في نظرة غريبة، وتركتني بدون كلمة، ماذا هل تعرفه؟ أو حتى إن كانت تعرفه مثلاً... هل كانت تظن أن ينظر لها هي ونحن نسير في الطريق؟ لورا كانت ذكية ولكن كانت مغرورة جداً كذلك، كانت دوماً تتحدث بمثالية عن كل الأمور، وتقرأ كثيراً، أنا أكره القراءة فماذا ستضيف لي القراءة غير الهالات السوداء التي حاربت بشدة كي لا أجعلها تظهر،

والتزمت بالعادات الصحية وحتى الآن لم يدخل جوفي كوب شاي واحد، وساعة نومي لم تتجاوز التاسعة أبداً، الحق أقول كنت أكره تلك الـ لورا بشدة؛ ليس لأنها متعددة المواهب أو متفوقة ولكن لأنها ليست جميلة مثل سالي مثلاً، فكنت أعلم أن لورا تكره سالي، وسالي كذلك، ولكن لورا كانت تصرح بذلك الكره أما سالي فلا، لم تكن تعيرها اهتماماً من الأساس، وأنا كنت أيضاً أظهر أني على الحياد بينهما، ولكن كنت أقرب إلى لورا لأن بإمكانها أن تجعلني أحصل على الدرجات الجيدة، والدرجات الجيدة تعني كلية قمة ولقباً مناسباً بجوار اسمي وكذلك الأحقية في فرض اختياراتي على المتقدمين لطلب يدي... وأن اشترط أني لن أخطب إلا لدكتور أو مهندس أو وكيل نيابة ممن يكونون مرتاحين مادياً، فتتأمن لي الحياة الرغدة ما حييت وكذلك مثل هؤلاء، لن يكون لديهم الفرصة لقضاء الوقت معي في المنزل، وبالتالي الشجار والخلافات، سيعملون ويعملون وأنا سأنفق المال، وأخرج مع صديقاتي، ولكن بسبب تلك الحقيرة فقدت الفرصة في هذة الحياة الرغدة وأصبح يتجرأ بعض الشباب الذين يحملون الشهادات المتوسطة مثلاً على التقدم لخطبتي، هل جننتم كيف تحلمون بمن هي مثلي؟! وكيف يصبح هذا الجمال بين أيديكم الخشنة؟ وعلى وسائدكم المهترئة للأبد بحكم الزواج، لا لن يلمس جسدي هؤلاء أبداً، يا إلهي كم أكره حظي المقيت، وأكره لورا التي جعلت مني مطمعاً لهؤلاء، ولكن بفضل ذكائي أصبحت لدي وسيلة أخرى للحصول على مبتغاي، فأصبحت أذهب لزفاف صديقاتي اللواتي تمكنّ من الحصول على الأطباء والمهندسين ووكلاء

النيابات، وأتزين كما يجب لأحصل على اهتمام أحد أصدقاء العريس أو الأصح اهتمام والدته، وأصبحت كذلك لا أُفوت المناسبات العامة، وأي تجمع للشباب متمنية أن أجد ذلك الرجل الذي أحلم به، لا أعلم مدي طموحي في رجل أحلامي هذا، يجب أن يكون ذا منصب مرموق وغني وعائلته ذات صيت وسمعة طيبة، وأن يكون وسيماً جداً وجذاباً لأبعد الحدود حتى أطمئن على شكل أطفالي المستقبليين، ولكن ترى هل لو وجدت هذا الشاب سأرضى به أم سأطمح للمزيد؟! لا أدري...

في أحد الأيام بينما كنت أجلس في أحد الكافيهات المشهورة والتي فاتورتها قد تصيب بعض الرجال رقيقي الحال بالدوخة وارتفاع ضغط الدم، رأيت أمامي وجهاً مألوفاً لشاب، أنا أعرف هذا الشاب، هذا الوجه، نعم أعرفه، وإذا به يتفاجأ بوجودي وينظر إلي نظرة مطولة، أعرف التصرف السليم في هذا الموقف سأحرك حاجباي في استنكار، وأدير وجهي، وأنتبه للمشروب الذي بين يداي، رفعت الكوب حتى أشرب وأنظر كذلك بدون أن ينتبه هو، فوجدته يحدق نحوي بل بدأ بأخذ خطواته تجاهي، يا له من أحمق، هل وقع في غرامي بهذة السرعة؟

كريم : أنتِ نورة أليس كذلك؟

نورة : وهل أعرفك؟

كريم : بالطبع لقد كنا أصدقاء في صغرنا، ألا تذكرينني؟ أنه أنا كريم..

كريم !! آه تذكرته يا الهي عندما أقابل صديق طفولة يُعجب بي يكون أفقرهم، ما هذا الحظ التعس!؟ لمَ لم تقل أنك سمير مثلاً صاحب شركات الاستيراد والتصدير، سأتركه وأرحل في الوقت المناسب.

نورة : آه تذكرتك، هل تعمل هنا؟

كريم : أنتِ مضحكة ههه.

نورة : وما المضحك فيما قلت؟ كنت أسمع أنك تعمل في أحد الكافيهات فظننتك تعمل هنا، لا يمكن أن تكون زبوناً.

كريم : بل أنا كذلك وأود أن أقدم لكِ مشروباً آخر على حسابي...

نورة : وهل تملك حقاً ثمن مشروب واحد هنا؟

كريم : يبدو أن أخبارك عني قديمة للغاية، ألا تعلمين أني أعمل الآن بمجال السيارات وحصلت على براءة اختراع لموتور سيارة، ببساطة أنا الآن مليونير يا عزيزتي، وأستطيع أن أعزمكِ على عشر مشروبات هنا وليس مشروب واحد ما رأيك؟

نورة : بالطبع ولم لا ...

طلبت أغلى مشروب في القائمة لأتأكد من صدق كلامه، إذا كان صادقاً سيكون الحظ يقف إلى جواري أخيراً وما أن انتهينا حتى طلب الفاتورة، ورأيته بعيناي وهو يضع مئتا جنيه كبقشيش، لم أصدق ما رأيت، إذن هو صادق، لقد أصبح

غنياً، وأخيراً ابتسم الحظ لكِ يا نورة، ووجدتي الشاب المناسب الذي سيحقق لكِ كل ماتمنيته يوماً.

كريم : أصبحت الثامنة، هل تنوين قضاء السهرة هنا؟

نورة : لا بالطبع أنا...أنا أسهر بمكان آخر...

كريم : لا أظن أن المكان الذي تتحدثين عنه يحوي موسيقى كالموجودة حيث سأذهب أنا، على العموم بالتوفيق...

نورة : كريم انتظر... سأذهب معك، أرغب بالتغيير فلقد سأمت من الذهاب للمكان ذاته كل يوم، حتى أن النُدل هناك صاروا يعرفون طلباتي عن ظهر قلب...

كريم : حسناً كما تريدين...

واصطحبني في سيارة فارهة من نوع فخم للغاية، كنت سعيدة ومنتعشة ومتأهبة للمكان الذي سنذهب إليه، ترى أين سنذهب؟؟

***

-35-

تواريت في الظلام بجوار السلم الموصل للطابق الثاني أما هي فاختبأت بجوار الأقفاص، وفي تلك اللحظة فتح الباب المعدني ودخل كريم ومعه نورا...

نورة : لمَ المكان مظلم هكذا؟ ..ظننت أنه ستوجد اضاءة وناس، أين تلك السهرة التي وعدتني بها.

كريم : في الحقيقة يا نورا لستِ هنا للسهرة، آسف لقد كذبت عليك.

نظرت له حينها بذعر...

نورا : إذن نحن الآن وحدنا هنا ... ما الذي تريده مني يا كريم؟

لورا: شيء بسيط...

ظهرت هي في ذلك الوقت من الظلام للفتاة، كانت تنظر إليها نظرة الصقر لفريسته...

لورا : في الحقيقة لقد جئتِ لمقابلتي أنا... لأخبرك خبراً هاماً فحياتك ستنتهي اليوم...

ذعرت أنا عندما سمعت تلك الجملة هذا ما كانت تقصده بالخطوة الأولى، لقد حولتنا لنجذب الفتيات إلى الفيلا وعندها تقتلهن وتفتك بهن... يا إلهي هل وصل بها الجنون إلى هذا الحد...

أحمد : لورا !! ماذا تفعلين؟

عندها نظرت إلي نظرة أصابتني بالرعب لدرجة أنني لم أستطع التحدث...

لورا : أنا فقط أجهز لوجبة عشائنا الليلة...

نورة : من أنتِ؟ وما الذي تقولينه؟ ... هل أنتِ حمقاء؟

ثم استدارت تريد المغادرة فوقف كريم بطريقها...

نورا : ابتعد عن طريقي يا كريم ...لست متفرغة لهذا المزاح السخيف.

عندها لاطفها كريم...

كريم : عزيزتي لقد خُدعت ولن تغادري من هنا سوى جثة، عندها بدأ الرعب يدب في قلب الفتاة ويظهر من عينيها، وظلت تنظر مرة للورا ومرة لكريم، عندها أمسكتها لورا من رقبتها، وغرست أظافرها بها لتُجرح رقبتها وظل دمها يقطر، وتدوي صرخات نورة، ولكنها صرخات لا تجد أذاناً تسمعها، اقتربت منها لورا وشمت دمها.

لورا : كريم...حسناً ما جلبت... إن رائحتها شهية...

نورة : أرجوك دعيني أرحل... أفلتيني أرجوك...

لورا : لمَ تتوسلين الآن؟ ... لمَ لم تفهمي بعد؟ ... لستِ سوى وجبة عشاء...

عندها تركتها لورا فحاولت التملص والهرب، ولكن كريم أمسك بها، عندها أمسكت لورا بيدها بينما كان كريم يمسك باليد الأخرى، وقاموا بعضِّ كلتا يديها من منطقة الأوردة، عندها كانت صرخات الفتاة تشق سكون الليل

ودموعها قد بللت ملابسها، ثم توقفا الاثنان ولم تكن الفتاة قد فقدت وعيها بعد، لكني قررت ألا أصمت أكثر من ذلك...

أحمد : لورا .. توقفي...

عندها أمسكت لورا شعر الفتاة وجرتها منه لتسقط أرضاً، وظلت تجرها من شعرها حتى صعدت بها على الدرجات الأربع، وألقتها أمامي و لازالت الفتاة تصرخ، وتبكي ولورا تستمتع بذلك...

لورا : ألن تشاركنا عليك أن تأكل...

نورة : أرجوك أخرجني من هنا...

لورا : لا تقلقي ستنتهي مأساتك قريباً فهو شخص طيب سيجعلك تموتين برفق...

نورة : أرجوكم أرحموني ...أخرجوني من هنا.

لورا : هيا أحمد أنهي عذاب تلك المسكينة ... وأنهي عذابك أنت أيضاً، لابد أنك تتضور جوعاً.

أحمد : لن أفعل...

نورة : أرجوك أخرجني من هنا...

لورا : أنهي أمرها وحياتها الآن فالفتاة تتوسل إليك لتريحها...

نورة : أنا لا أريد أن أموت... أتركوني أرجوكم...

لورا : هيا أحمد ... أعطها نهايتها الرحيمة...

أحمد : قلت لكِ لن أفعل... لست مثلكِ ولن أكون...

عندها صرخت الفتاة قائلة: أخرجوني من هنا... أنا لا أريد أن أموت أرجوكم.

عندها جلست لورا على ركبتها وضربت نورا على وجهها...

وهي تقول لها : اخرسي فأنتِ مزعجة...

لم أحتمل الوقوف معهم أكثر من ذلك، فصعدت السلم ثم توقفت في منتصف السلم واستدرت لها...

أحمد : متى أصبحتِ بهذه الوحشية؟!

لورا : منذ أن عرفتك.

كان ردها مباشراً سريعاً وصريحاً، بعد ذلك أكملت الصعود بسرعة، ودخلت لغرفتي وأقفلت بابها وظللت أسمع آخر صرخة مدوية للفتاة، والتي ما لبثت أن خفتت شيئاً فشيئاً وانتهى أمرها...

...

***

-36-

استيقظت في اليوم التالي وبقلبي ألم شديد كيف للورا حبيبتي، التي لم أحب سواها أن تصبح وحشاً سادياً يستمتع بعذاب الآخرين، ويستمتع بسماع صرخاتهم، لقد حولها غضبها وحزنها ووحدتها إلى مسخ دميم، أعلم أنه من الصعب على المرء العيش وحيداً كابتاً كل غضبه وحزنه بداخله، لكن ما فعلته لورا كان اطلاقاً لكل هذا الغضب المكبوت طوال خمسة عشر عاماً، إنها ليست بحاجة لعقاب على ما تفعله، بل إنها في حاجة للمساعدة والعلاج، خرجت من غرفتي في ذلك الصباح وما أن بدأت النزول على السلم حتى راودني شعور بالعطش الشديد، إنني بحاجة للدماء؛ لذلك توجهت مباشرة للأقفاص، وتناولت ما أشبع عطشي، كنت أمتص دماء الأرانب بنهم شديد، عندما تبدأ نوبة العطش ويتغير لون العينين نصبح لا نرى أمامنا سوى الدماء بل نسمع دقات القلوب، ونشعر بمسار الدماء في الضحية وتكون حينها الغريزة هي ما يحركنا... لا نشعر عندها بأي شيء حولنا، وما أن انتهيت...

لورا : يبدو أنك كنت جائعاً...

فاجأني صوتها من خلفي، فاستدرت لأجدها تبتسم لي ابتسامة ملؤها السخرية...

لورا : لمَ لم تستسلم بعد، وتصدق أنك أصبحت مصاص دماء، لقد خلقت منك وحشاً مثالياً حيث أن لك غطاء جميل، ولكنك من الداخل لست سوى وحش...

أحمد : أعرف فقط أن جنونك هو ما أوصلني وأوصلك لهذه الحال...

لورا : لا أعرف لماذا تتحدث عن الأمر وكأنه شيء سيء، لقد منحتك القوة التي لم يحظ بها أحد من قبل، ألا تشعر بالمتعة والحيوية عندما تشرب تلك الدماء، ولكن ما يزيد تلك الحلاوة في فمي هو لذة الانتقام عندما تختلط بها...

أحمد : وهل قتل الناس وتعذيبهم يجعلك تستمتعين؟ أنتِ حقاً مريضة، يجب علي أن أوقفك عند هذا الحد.

لورا : لكل شيء ثمن يا عزيزي... ادفع لي ثمن خمسة عشر عاماً قُتلت فيهن، وصرخت آلاف المرات دون أن يسمعني أحد.

أحمد : ثمن!! أي ثمن؟ هل تسعين خلف المال؟

لورا : وهل ترى أنه ينقصني المال؟

أحمد : إذن ما هو الثمن الذي علي أن أدفعه لأجعلك تتوقفين؟!

لورا : حياتك...علي أن أقتلك وأجتث جذورك من حياتي.

أحمد : إذن اقتليني ...ها أنا أمامك، افعليها هيا ماذا تنتظرين؟ هل أنت خائفة لأنك لا تستطيعين؟

لورا : بل أنا خائفة لأني أستطيع، لكن دعنا ننصرف عن هذا الحديث الذي لا فائدة منه لنتحدث بالأمور الهامة...

على خطتي أن تكتمل...على هبة أن تنبهر بك وأن تجد أمراً لتتحدثا بشأنه، لذلك اشتركت لنا سلفاً بالمسابقة التي ينظمها النادي الذي ترتاده هي غداً، ولقد اشتركت لنفسي لأنه عليك أن تربح الخصم الذي أمامك لذلك سأواجهك أنا وأعمل على أن تفوز، رغم أني سأخسر سمعتي... للأسف فأنا اللاعب الذي لم يهزم في مباراة من قبل، لكن لا مشكلة سأضحي من أجل أن تسير خطتي وفقاً لما أريد...

أحمد : ولمَ هذه التضحية الغالية...أستطيع أن أهزمك في مبارة نظيفة.

فابتسمت حينها ابتسامة ملؤها الغرور...

لورا : هل تذكر آخر مرة عندما هزمتك بلا سيف؟

أحمد : لقد تعلمت الدرس جيداً، وأنا على استعداد لمباراة نظيفة ونزيهة معك، لتتلقي خسارتك الأولى ما رأيك؟

لورا : أتعلم؟ تغريني الثقة بعينيك، أنا موافقة، ولكن تذكر...عندما أجعلك تخسر بجرح بسيط لأجعلك تثير شفقة هبة... إن خطتي ستسير أيضاً وفق ما أردت...

أحمد : إذن استعدي للخسارة...

وتركتها وعدت إلى غرفتي مرة أخرى، تلك المباراة ليست مجرد مبارزة في الشيش بل هي أعمق من ذلك لي ولها...

فالفائز لن يكون فقط قد أثبت أنه الأفضل بتلك الرياضة بل سيثبت أنه على حق فيما يقوله ويفعله أعدك يا لورا أن حبي لك سينتصر على كرهك لي...هذه المرة لقد درست أسلوبك جيداً وسأثبت لكِ أني على حق.

في اليوم التالي لم نتحدث لبعضنا مطلقاً حتى ذهابنا إلى النادي، تحضرنا للعب وارتدت هي زيها الأسود المعتاد...

وارتدت القناع قبل أن تدخل للحلبة، وأخفت شعرها حتى لا تظهر أمام هبة، وبالفعل دعيتُ أنا هبة لمشاهدة المباراة...

خطة لورا في اللعب هي أن تبدأ بهجوم سريع وهجمات متكررة، حتى يرتبك الخصم الذي أمامها ويفقد تركيزه

ولا يتمكن حتى من الدفاع ليخسر ببساطة في مبارزتنا السابقة، عندما رأيتها أول مرة خسرت، لأنني اندهشت وأُعجبت بقدرتها وكذلك لأني اتخذت وضعية الدفاع، ولكني غفلت عن حقيقة أن خير وسيلة للدفاع هي الهجوم، عليّ أن أهاجمها أولاً سأكسب حينها عنصر مفاجأتها، وأستخدم سلاحها ضدها فأجعلها هي من يرتبك...

وتلجأ رغماً عنها لوضعية الدفاع، وذلك ما فعلته تماماً ولم أربح جولة أو اثنين بتلك الطريقة، بل ربحت الثلاث جولات وربحت معهم المباراة، أما هي شعرت بالغضب في عينيها رغم أنهما مختفيتان خلف القناع وكعادتها غادرت الحلبة مسرعة

وعادت للفيلا، أما أنا فمكثت مع هبة وتحدثنا لبعضنا البعض لمدة ساعتين، شعرت من عينيها أنها حقاً بدأت تعجب بي خاصة بعد أن أخبرتها أني قد انفصلت عن سالي، المسكينة لا تدرك أني أنصب لها فخاً لا أكثر...

عدت للفيلا بعد ذلك فوجدت لورا نائمة على الطاولة المستديرة بمنتصف البهو، كانت تأن وتبكي بكاءً حاراً

لم أفهم... أ كل هذا البكاء لأنها خسرت تلك المباراة؟ اقتربت منها قليلاً...

أحمد : هل تريدين إعادة للمباراة هذا حقك...؟!

لورا : هل تسخر الآن ؟؟

كان صوتها مليئاً بالأسى والانكسار، أشعر أن تلك المباراة قد كسرت بداخلها الكثير، بعد ذلك نهضت لتتخذ وضعية الجلوس...

لورا : أجل .. أريد اعادة هذه المبارزة...

ثم نهضت بسرعة وأحضرت سيفين ألقت لي بأحدهما، في البداية أخذت حذري تماماً فأنا أعلم أنها غاضبة جداً

وستهاجم بلا هوادة وسيجن جنونها كالعادة لكنها لم تفعل ذلك بل ظلت تنظر لي بعينين دامعتين فبدأت بالهجوم برفق، وكانت هي تصد الضربات بوهن غريب، توقعت أنها تخدعني بتلك الحركات وأنها ستغضب فجأة

وتصبُّ جام هذا الغضب علي، لكنها كانت على العكس تماماً بل ظلت تتراجع أمام ضرباتي وتصعد السلالم وهي تتراجع حتى حاصرتها، إذ لم يبق خلفها سوى الحائط عندها ألقت بسيفها... وأمسكت بطرف سيفي ووجهته لبطنها...

لورا : لقد خسرت مرة أخرى اقتلني الآن إذن...أرجوك لا أريد أن أعيش بعد الآن، ألم تتمنى أن تجعلني أتوقف...

اقتلني إذن...

فألقيت بسيفي أنا الآخر واقتربت منها، وأمسكت بذراعيها تمنيت أن أضمها الآن في حالة ضعفها هذه لكني علمت أنها لن تسمح لي...

أحمد : لورا ... لم تستمرين بهذا العذاب؟ أنتِ لا تعذبين بهذا سوى نفسك وتعذبينني معكِ، أفهم ما مررت به طوال تلك السنوات صدقيني، فأبعدت يدي عنها وزاد بكاؤها.

لورا : أنت لا تفهم أي شيء، لا تفهم أي شيء.

وتركتني ودخلت إلى غرفتها، ظللت عندها واقفاً مكاني مندهشاً من هذا التغيّر الغريب، ولا أفهم لمَ كل هذا البكاء؟!

هل لأنها خسرت المباراة أم أن هناك سبب أخر...؟!

***

-37-

لقد تحطمت اليوم، أصبحت لا شيء، كل شيء قد ذهب، لم أعد لورا، ولست حتى جميلة، أنا فقط لا شيء

دخلت إلى غرفتي، ونظرت في المرآة فلم أر سوى شبح، رأيت دمية جميلة محطمة من الداخل والخارج ظللت أصرخ بشكل هيستيري، وأكسر وأدمر كل شيء في غرفتي أمسكت بمزهرية وألقيتها على المرآة الكبيرة التي تحتل كامل الحائط فتكسرت بعض أجزاء منها، ظللت أدوس بقدمي على قطع الزجاج المحطمة تمنيت أن يكون ألم الجسد أهون من ألم الروح، لقد هزمني بتلك المباراة وهزمني في كل شيء آخر، لكن لماذا توسلت إليه أن يقتلني؟!

وبيدي أن أموت دون مساعدة خرجت إلى الشرفة وظللت أحدق بالسور قليلاً، لم أعد أستحق الحياة ولست نادمة على أي شيء فعلته كل شيء، قد انتهى فقط منذ ساعتين عليّ أن أموت.

فليست أمامي وسيلة أخرى لأتخلص مما أصبحت فيه، صعدت وأصبحت أقف على سور الشرفة، كدت أن أخطو خطوتي الأولى، لولا وجدت يداً تمنعني وتحملني إلى الداخل، لقد كان هو وظل يصرخ بوجهي...

أحمد : هل جننت؟؟ ماذا كنت تفعلين؟ لماذا تريدين أن تموتي...

لورا: لقد تعبت من كل هذا.

أحمد: إذا كنت لا تريدين الاستمرار فتوقفي فقط، لا تقتلي نفسك.

صرخت أنا بوجهه بدوري...

لورا : ابتعد عني، ماذا تريد مني؟ لماذا أنت موجود بحياتي؟ لولاك لكنت الآن إنسانة طبيعية، أنا لم أعد أستحق الحياة.

أحمد : لماذا ؟ أنتِ فقط تحتاجين لعلاج نفسي...

لورا : أنت لا تفهم أي شيء ...لا تفهم أي شيء، لقد انتهى كل شيء بسببك، لقد ضعت بسببك، لقد انتهيت

لماذا لازلت بداخلي؟ لماذا لا أستطيع أن أتخلص منك؟ حتى موتك لم يعد فيه فائدة، عليّ أنا أن أموت.

أحمد : أنا لا أفهم لماذا تقولين ذلك؟... أكل ذلك من أجل تلك المبارزة؟!

لورا : ألم أقل لك أنك لا تفهم؟... لا تهمني تلك المباراة أبداً، أنا فقط انتهيت، أريد أن أموت، ألا تقول أنك تحبني، إذن

أرحني واقتلني أرجوك، يجب أن أموت الآن، لماذا أتحدث إن كنت لا تفهم؟

أحمد : قولي لي ما الذي جعلك هكذا؟

لورا : أنت كل شيء بسببك أنت...أنت من دمرني...

ثم بدأت بالصراخ مرة أخرى، وبدأت بتحطيم الأشياء مرة أخرى، وكلما حاول تهدئتي أو الاقتراب مني صرخت بوجهه ليبتعد عني، كنت أبكي وأصرخ كمن يقطعون جلده ولحمه، حتى هدأت قليلاً، وأمسكت برأسي التي لا تكف عن التفكير أبداً، ولا تكف عن آيلامي كذلك أمسكت بها لأصدمها بالحائط كعادتي... لكنه أمسك بي ليمنعني من ذلك، فجلست أرضاً لأكمل بكائي...

أحمد : انظري إلى وجهك الآن...أنتِ تحتاجين لبعض القوت فأنتِ لم تأكلي اليوم، ولون بشرتك شاحب

عليك أن تهدئي فقط...

ثم مد لي ذراعه...

أحمد : اشربي قليلاً وارتاحي...

لورا : ابتعد عني لا أريد أن أراك الآن، وعليك أن تنهي أمر هبة بسرعة...

أحمد : حسناً... سأفعل ولكن فقط اهدئي قليلاً.

لورا : فقط ابتعد عن وجهي وسأهدأ.

أحمد : حسناً .. سأتركك وأرحل لكن لا تؤذي نفسك.

نظرت له ولم أعرف بما أجيبه، كل ما أريده الآن هو الموت فقط، لا شيء أكثر من ذلك، ثم نهضت لأقف على قدمي لكني فقدت وعيي فجأة ولا أذكر شيئاً بعد ذلك...

***

-38-

لقد منّ الله علي بالهداية والحمد لله، فلقد قال الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) [9] يا إلهي لك الحمد بما أنعمت علي بنور الإيمان في قلبي، وأنعمت علي بنعمة الحجاب لأستر نفسي عن أعين الناس، فلقد عصيتك كثيراً وسترتني كثيراً يا أرحم الراحمين، أسمي هبة مصطفى أحمد عمري 27 عاماً، أعمل بفضل الله في مجال التمريض، أحب الله حقاً وأتمنى أن يحبه الناس جميعاً بقدر ما أحبه وأحمده على فضله الذي أعطاني إياه كل يوم، أتمنى أن أعمل كداعية. مثلي الأعلى هو مصطفي حسني، وأحب صوت ماهر زين في أناشيده الدينية، حقاً يا له من صوت جميل حباه الله إياه ليغني ويطربنا به، ارتديت الحجاب منذ سن ال12 عام ولم أخلعه حتى الآن، والحمد لله ثم ارتديت الخمار في سن ال15 ولكنه كان طويلاً جداً، ويعيق الحركة فقصّرته قليلاً وبعد عامين ارتديت النقاب والحمد لله، ومنّ الله علي بمرافقة الصالحين المتفوقين من عباده في

---

[9] * سورة القصص الآية 56

الثانوية العامة، وحصلت على مجموع لا بأس به والذي أدخلني كليتي.

آاه كم أتذكر تلك الأيام في صغري، كنت صديقة مقربة لفتاة اسمها لورا، أتمنى أن يهديها الله فهي كاشفة لشعرها وغير محجبة، كما أنها كانت تعزف وتغني تلك الأغاني الغريبة والتي تحرض على الحب الحرام والفسق والعياذ بالله، برغم طيبتها كنت أفضل أن أصادق فتيات آخريات... لا في الحقيقة لم تكن لي رفيقة محددة، فأنا أصادق الكل لأحاول هدايتهم حتى وإن لم يكنّ مقتنعات بذلك؛ فمثلاً بخصوص الأغاني التي كانت تغنيها لورا وكذلك العلاقات المريبة بينها وبين فتى يدعى أحمد وأخرى تدعى سالي، فقد كانت بينهم أشياء غريبة لم أفهمها، فتحدثت لمعلمة كنت أحسبها على خير بشأنهم، وأن تمنع لورا من العزف على البيانو في حجرة الموسيقى، وعدتني المعلمة أنها ستنظر في الأمر، وبعد فترة اختفت لورا من المدرسة، أظن أنهم قد طردوها وارتحت من عواء ذلك البيانو.

عندما دخلت الكلية بهرني في البداية جمال الفتيات هناك واهتمامهن بحجابهن وشعورهن، ومساحيق التجميل التي تجعلهن حقاً جميلات عندما يُحسن استخدامها، وصادفت فتيات خبيرات بوضع المساحيق التي تجعل شكل البشرة والوجه طبيعي وكأنها لا تضع أي شيء على وجهها، وأن طبيعته هذا التورد وهذا الجمال، بهرتني الفكرة كثيراً فاشتريت بضع أدوات مساحيق التجميل بمعاونة إحداهن حتى أستطيع أن أجربها بحرية في المنزل، وشاهدت بعض المقاطع التي توضح

كيفية استخدامها، وبالفعل قمت بالتجربة ورأيت نفسي كما لم أرها من قبل فلقد اختفت الحبوب، وحلّ الضوء تحت عيناي، وأصبحت شفتاي متوردتان وأنفي أصغر، وعيناي أوسع ورموشي أطول، أصبحت أشبه الفتيات في الكلية، وسعدت بالنتيجة كثيراً، وحسدتُ الذي سيتزوجني عندما يراني هكذا، يا له من محظوظ ذلك الذي لم يأت بعد، الغريب أنه برغم تديني هذا لم يتقدم لأحد لخطبتي بعد، والأغرب أن أختاي كانتا ترتديان الحجاب العادي وتزوجن بل وأنجبن كذلك، ألم يقل الرسول (صلى الله عليه وسلم) : (فاظفر بذات الدين تربت يداك)؟ كيف لم ألفت نظر من تقدموا لخطبة أختاي؟، ألم يأسرهم نقابي وغموضي؟، ألا يحب الرجل المرأة الغامضة التي لا يستطيع قراءتها أو معرفة أسرارها من اللحظة الأولى؟، أنا لا أطمع في أزواج أختاي، ولكن فقط أتساءل كيف لم يلتفت لحسن تديني أحد؟!، حتى أمهات الشباب في صلاة التراويح التي لا أفوتها في شهر رمضان من كل عام، لم تعرني إحداهن انتباهها أبداً ولم تأت بجواري لتسألني إذا كنت مخطوبة أم لا لأستحي وأنا أقول لها لا، فتبدأ حينها بالحديث عن ابنها وكيف أن أخلاقه طيبة ويعمل بوظيفة مرموقة ثم تطلب رقم الهاتف الخاص بأبي، وأعطيه لها وأمشي على استحياء ... ولكن للأسف لم يحدث هذا حتى الآن أبداً، وذات نهار وأنا أرتدي ثيابي للذهاب إلى الكلية خطرت في رأسي فكرة أن أجرب وضع مساحيق التجميل تحت النقاب حتى أستطيع أن أريه لرفيقاتي في الكلية، ويا لا دهشتهم عندما رأوه، لقد أثنوا على شكلي كثيرا، وكيف أنهم لم يتخيلوا شكلي وأنا أضع

تلك الأشياء، شعرت حينها بالزهو يملأ كياني وبالثقة المفقودة تعود إليّ، وأصبحت وضع المساحيق عادتي كل يوم وتدريجياً، أصبح النقاب يخنق تنفسي ويجعل المساحيق تذوب ويبطل شكلها أسفله، وذات نهار آخر وجدت نفسي أرتدي ثيابي العادية، وأضع الحجاب العادي وأخرج بدون النقاب، شعرت حينها أني أستطيع التنفس وأن جمالي بالمساحيق يستطيع الناس رؤيته ومدحه، وأنا على هذا النمط حتى اليوم، أصبحت كالآخريات في الطريق وفي الكلية، وفي الحقيقة لم أشعر أني منافقة، فلقد كان تنفسي متأثراً بالنقاب كثيرًا، ولم أستطع تحمله رغم عني.

بعد أن تخرجت وحصلت على الوظيفة أصبحت أشعر بالملل كثيراً بعد فترة الدوام، وقررت أن أشترك بأحد الأندية في المدينة حتى أستطيع التعرف على أشخاص جديدة، وتكوين علاقات وصداقات بعيدة عن إطار زمالة الدراسة أو زمالة العمل، وسرعان ما اكتسبت صديقات كثيرات، ومنذ عامين وجدت صديقة في النادي تدعوني لحضور حفل خطبتها، سعدت كثيراً وحضرت حفلة الخطبة، وإذا بي بعد شهر أرى تلك الصديقة تجلس مع خطيبها على طاولة من طاولات مطعم النادي، ويتلامسان بالايدي ويهمس كل منهما للآخر، ما هذه الجرأة التي يملكها هذان الاثنان، نعم أنتما مخطوبان ولكن لا يحل لكما التلامس، هذا من المحرمات، سأخبر أبويها عن هذا حتى لا يتكرر الأمر، وبالفعل اتصلت بأبويها وأخبرتهما بما رأيت فوعداني بألا يتكرر الأمر، ولكن فوجئت في اليوم التالي بالفتاة

تأتي لنا باكية لأن خطبتها قد انتهت، لقد اتهمها خاطبها بأنها تُخرج أسرار علاقتهما لأبويها ورغم محاولتها لإقناعه إلا أنه قال لها:" أنه لن يثق بها كزوجة." وأنهى الأمر بينهما سريعاً ، حزنت من أجلها ولكن كان بداخلي شيء من الراحة أني رأيتُ منكراً فغيرته بيداي، وما لبث أن تكرر الأمر ذاته بالتفاصيل ذاتها مع صديقة أخرى وأخرى وبعض من قريباتي، كنت أتصل بذويهم حتى أُنهي ذلك المنكر الذي لا أتحمل رؤيته فكانت النتائج كلها أن الخطبات تنتهي، كنت أنصحهن بالاستغفار علّ ذلك الأمر ذنباً يريد الله تخفيفه عنهن، وكن يقتنعن بكلامي وأدعو أنا لهن ولنفسي بالزوج الصالح، والذي لم يأتِ حتى الآن.

منذ فترة رأيت أحمد خطيب سالي في النادي، هو صديق قديم من المدرسة، لا أخفي الأمر كنت معجبة به كثيراً وكنت أرى بوضوح ما يحدث بين الثلاثي أحمد ولورا وسالي، في ذلك الصراع كنت على الحياد ظاهرياً ولكن كنت أؤيد سالي من داخلي، فأحمد وسالي متلائمان جداً، لم أكن أظن أن لي فرصة معه فقد كنت أحبه حباً صامتاً، لا لم يكن حباً كان مجرد إعجاب فهو وسيم جداً، سالي ناكرة الصداقة والجميل تلك لم تدعني لحفل خطبتهما العام الماضي، ولكن لا يهم سأحاول التعرف عليه بما أنه هنا لأعرف موعد الزفاف.

رأيته يقف هناك بجوار الكافيتيريا فذهبت خلفه وكأني لا أعرفه، وذهبت لأطلب طلبي المعتاد فوجدته يطلب الطلب ذاته تعجبت ونظرت نحوه، أظن أنه يتذكرني ولكنه لم يلتفت إليّ ولكن لمحت ابتسامته التي حاول اخفائها، رأيت أنه لا مانع من المبادرة بالسلام فألقيت التحيه فردها بأدب...

هبة : ألا تتذكرني؟ إنها أنا هبة صديقة سالي...

أحمد : أتذكرك جيداً يا هبة، يا لها من مصادفة.

هبة : هل أنت مشترك بهذا النادي؟

أحمد : في الحقيقة لا ولكن جئت لمقابلة صديق وانهاء بعض الأعمال.

هبة : أبلغ سالي أني مستاءة منها كثيراً؛ فهي لم تدعني لحفل خطبتكما، أتمنى أن تدعوني إلى الزفاف وألا تنسوا أننا كنا يوماً أصدقاء.

أحمد : للأسف يا هبة لن يكون هناك زفاف فلقد انفصلنا...

هبة : حقاً !! لماذا ؟

أحمد : لا أريد التحدث بالأمر الآن، سأخبرك عندما نتقابل مرة أخري، خذي هذا الكارت به أرقام هاتفي أتمنى أن نتحدث مرة أخرى وأيضاً أعطيني رقم هاتفك...

أعطيته الرقم ورحل سريعاً كما جاء سريعاً، حقاً لقد خسرتك سالي يا أحمد، فأنت كنت ولازلت الفتى المهذب الذي عهدته، بعد فترة وجدت هاتفي يرن ويظهر رقمة على الشاشة، أجبت على الفور، ألقى التحية وحدثني عن أحوالي ودعاني لحضور مبارة في رياضة الشيش ضمن مسابقة كبيرة بين الأندية، أخبرته أني سأذهب طبعاً، وبعد فوزه في المبارة بجدارة، كانت تلك فرصتي في التعرف إليه ، تحدثنا كثيراً وأخبرني عن

سبب انفصاله عن سالي وهو أنه شعر أنه أساء الاختيار كثيراً؛ فهي ترغب القيام بتجاوزات معه وهو يرفض ذلك لأنها لا تحل له بعد، يا إلهي أخيراً وجدت رجلاً يؤمن بما أؤمن به، أخبرني أنه كان يتمنى أن يتزوج بفتاة متدينة ومحافظة أكثر من ذلك، فتاة... فتاة تشبهني أنا، لا أصدق أنه فكر فيّ أنا لأكون زوجته، وأخيراً يكافئني الله بما تمنيته طويلاً، الحمد لله .

***

-39-

أكملت خطتها حتى لا تغضب علي أكثر من ذلك، فهبة لا تعني لي الكثير فهي فتاة منافقة جداً، وكنت أكرهها أنا الآخر ولا أظن أن لورا ستحاكمها بالموت لمجرد أنها منافقة، بالفعل تقدمت لخطبتها ووافق أهلها بترحيب غريب وفي حفلة الخطوبة جلست أنا وهي بشرفة منزلهم حيث كانت الحفلة...

أحمد : هبة !! هل تثقين بي ؟؟

هبة : سؤالك غريب ...لم تسأل هذا السؤال ؟

أحمد :فقط أردت أن أعرف إلى أي مدى تثقين بي؟!

هبة : ولماذا ؟

أحمد : لأني أريد أن أطلب منك طلباً يعتمد علي مقدار ثقتك بي ...

هبة : وماهو هذا الطلب

أحمد : أريد منك أن ترافقيني غداً إلى منزل ما حيث ستقابلين شخصاً هاماً.

هبة : ومن هذا الشخص الهام؟

أحمد : لن أستطيع إخبارك ...انها مفاجأة.

هبة : حسناً .. يمكنني المجيء وسأصطحب أخي و...

أحمد (مقاطعاً) : تلك هي المشكلة ... فانا أريدك أن تأتي معي وحدك ...لا تنظري إلي هكذا، حقاً لو لم يكن الأمر هاماً ما طلبت منك ذلك أبداً، إذا كنت تثقين بي هاتفيني لنتفق على موعد لآتي وأقلك من هنا إلى حيث يوجد المنزل، وتركتها وغادرت وأنا أدعو ألا توافق أبداً، لأنها إن وافقت ستكون ذاهبة للجحيم بقدميها

فهذه المرة لن أستطيع الوقوف بوجه لورا الغاضبة ذات الطباع الحادة، وللأسف لم تُستجب دعواتي واتصلت بي هبة...

هبة : أحمد !!لقد فكرت فيما قلته لي كثيرا ووجدت أنك ان كنت تضمر لي شراً ماكنت رأيت تلك النظرة في عينيك ..أحمد ... أنا ... أنا ... أنا أحبك وأثق بك كثيرا لذلك أنا مستعدة لأن آتي معك أينما تريد وأنا أعرف أنك لن تغدر بي

أحمد : حسناً .. وأنا أحبك أيضاً.

هبة : حسناً .. متى سنذهب ؟

أحمد : أنا متفرغ الغد...فلقد أخذت إجازة طويلة من شركتي لذلك حددي الموعد الذي يناسبك أنت.

هبة : إذن لتمر علي الساعة ...لقد حددت هي الموعد حددته وهي لاتعلم أنها تحدد ساعة لقائها مع ماضيها

وأخطائها، ولا أعرف إن كان قدرها سينقذها أم لا من لورا، فلقد وقعت في أيدي ثلاثة وحوش جائعة تنتظر وجبة طعامها بفارغ الصبر ولن تمنحها الرحمة إن طلبتها بالرغم من أنها لا تعني لي شيئاً، ولكن أخشى أن يصل الأمر إلى القتل فإزهاق روح شخص ما، لمجرد أنه ارتكب غلطة في ماضية وهو لا يدرك عاقبة خطأه في حياة إنسان آخر لهو الجنون بذاته، فإن كان كل شخص سيعاقب بالموت لمجرد أن السوء قد خالط أفعاله يوماً ما فبذلك ستفنى البشرية كلها ولن يوجد معنى لرد المظالم. تحت ضغط ذهبت إلى هبة في الموعد واصطحبتها إلى الفيلا...

وما أن دخلنا حتى سمعت صوت الموسيقى الصاخبة ذلك النوع الذي يؤذي الأذن كان الصوت ينبعث من حيث لا أدري، ثم رأيت كرسياً وثيراً من النوع الدوار موضوعاً أعلى الدرجات الأربع بحيث كان بمقابل من يدخل من البوابة الحديدية مباشرة، وكان الكرسي ملتفاً بحيث كان ظهره أمامنا ثم استدار لتظهر لنا لورا، كانت تجلس جلسة الملكة على عرشها، فقد كانت تجلس مستقيمة الظهر واضعةً كلتا يديها على مساند الكرسي، وكانت تنظر لهبة نظرة ثابتة، هبة التي وضعت يديها على أذنيها حتى لا تسمع صوت الموسيقى، ثم نهضت لورا واتجهت إليها وأمسكت بيديها وأبعدت يديها عن أذنيها...

لورا : ألا ترين معي أن التظاهر هنا والآن غير مناسب؟!

هبة : من أنتِ؟ وعن أي شيء تتحدثين؟

لورا : أما من أنا... فأنا قدرك المحتوم... أبشري فلقد حان وقت تطهيرك من ذنوبك، علّي أخفف عنكِ شيئاً من آثامك.

هبة : معذرة أنا لا أفهم عما تتحدثين !!...ولِم طلبتِ رؤيتي، كما أرجوك أن تخففي صوت الموسيقى قليلاً.

لورا : هل تظنين أن قطعة القماش تلك الملتفة حول رأسك وذلك المظهر الكاذب الذي تحاولين أن تخدعي به من حولك سيؤثر بي، أنا من تعرف حقيقتك، وأدرك حقيقة وجهك الآخر... وجهك البشع، وجهك الذي تحاولين إخفاءه لست من بين أولئك الحمقى الذين قد يخدعهم مظهرك، أعلم أنك كنت تتصيدين قريباتك المخطوبات

وتتحدثين إلى خطابهم بما ليس فيهن، وتحاولين بكل ما أوتيتِ من قوة أن تفسدي علاقاتهم، وتنهي خطباتهم بجروح صعبة... كنت تحقدين عليهن، وتحسدينهن لأنك لم تجدِ من يحبك، فكلهم كانوا يهربون منك بعد الزيارة الأولى لمنزلك لكنك لم تدرك الحقيقة وراء ذلك، فالله كان يظهر لهم وجهك الحقيقي ويجعلهم يدركون أنك لست سوى شيطان، شيطان يتظاهر بأنه ملاك التقوى، حان الآن وقت الحساب يا عزيزتي.

عندها أجهشت هبة بالبكاء الشديد...

هبة : صدقيني توقفت عن فعل ذلك، لم أعد أفعل ذلك بصديقاتي وقريباتي، وأنا جد نادمة على ما فعلت بهن

لكني توقفت حقاً، ولكن مهلاً كيف عرفتي كل ذلك؟ من أنتِ؟

عندها اقتربت منها لورا وأمسكت بذراعيها.

لورا : هوني على نفسك.

بعد ذلك ضمتها لورا، ووجدت عينيها يتغير لونهما وتنظر نظرة خبيثة جداً.

لورا : انتهى وقت الأسئلة... وحان وقت الحساب.

ثم قامت بعضها وجعلتها تفقد وعيها ثم نادت كريم...

لورا : تناولا وجبتكما إنها لذيذة ... كلهم كذلك فذنوبهم تجعل عملية قتلهم لا تقاوم، وتكسب دمائهم لذة غريبة

ثم صعدت إلى غرفتها بهدوء، كل ذلك تم أمام عينيّ دون أن أمنع حدوثه رغم أني لم أشارك في امتصاص دمائها، على عكس كريم، ولكني تركتها تقتلها، وجلبتها بيدي إلى هنا، لقد انتهى أمرها وماتت، ومات معها جزء بقلبي اسمه الإنسانية؛ إنها الآن أولى ضحاياي، صعدت إلى غرفتي أيضا، وأغلقت الباب ولم أتمالك حينها أعصابي وبدأت ببكاء حار ندماً على ما فعلت..

ثم توجهت إلى شرفة لورا لأراقبها كما تعودت أن أفعل، كانت هادئة في هذا اليوم هدوءاً غريباً، وكانت تجلس أمام البيانو وتضع رأسها عليه وتدق أصابعه ببطئ، ميزت ما كانت تعزفه بصعوبة، كانت تعزف تلك الأغنية التي غنتها لي عندما دخلت حجرة البيانو تلك الليلة، دخلت إلى الغرفة وجلست على ركبتي بجوارها.

لورا : أرجو أن يكون إزعاجك لي بسبب مقنع وإلا تعرف ما قد يحدث لك.

وأجبتها وأنا أبكي بشدة.

أحمد : لم جعلتني أفعل ذلك؟ ... لقد قتلتها، أنا السبب في موتها، أنا أطيعك رغماً عني لأني أحبك، لكنك أوصلتني للقتل، لم أعد أتحمل ذلك يا لورا لن أبقى هنا أكثر من ذلك، لن أسمح لعيني بأن ترى المزيد دون أن أفعل شيئاً، عندها نظرت إلي ووضعت يدها على كتفي، وقالت بنبرة طفولية كتلك التي تقنع ابنها بأن يفعل أمراً لا يريد فعله، وأن تدس له السم في العسل حتى يتناوله.

لورا : بقي فقط مهمة أخيرة بعدها سينتهي كل شيء، أعدك بأن ينتهي بعدها كل شيء، إنها أهم ما سنفعل وهي الأخيرة، صدقني لن تقتل بعدها أحداً.

أحمد : لم أتمنَ أن أحيا معك حياة كهذه، كنت أتمنى أن نظل سوياً، لم أتصور أن أعيش مع إنسانة قد حطمها الغضب...

لورا : فقط أجل هذا الحديث للغد بعد انتهاء مهمتك الأخيرة، سنتحدث كما تريد، فقط اذهب إلى غرفتك الآن وانتظر بزوغ شمس الغد...

***

-40-

استيقظت في صباح اليوم التالي وأنا متلهف لما سيحدث لست متلهفاً بالطبع لتلك المهمة التي ستكلفني بها

ولكني أريد أن أعرف كيف ستنهي ما بدأته هكذا ببساطة؟ ستتحدث معي ... فيم سنتحدث؟ هل سنعيد الزمن إلى الوراء بهذا الحديث؟ هل سنكفر عما ارتكبناه من آثام؟ هل سنحيي القتلى ونعيد الآمال؟ لقد تحطم كل شيء سلفاً...ولم يعد ينفع الحديث بعد، إن الشرطة الآن تبحث عن الضحايا المختفين، بالطبع سمير لم يسأل عنه أحد إلا منذ أسبوع واحد فقط، وقد سجل اسمه ضمن المتغيبين، وأختاه المسكينتان لا تملكان الكثير لفعله

ولكنهما استلمتا شركتهما وحصلتا على حقهما، وأصبحتا تعدان أخوهما في عداد الأموات سلفاً، كريم أعطى لصديقة المبلغ الضخم الذي أعطته اياه لورا ليبدأ المشروع الذي طالما حلم به، وأمدّ عائلته بمبلغ كبير آخر

وأصبح لهم ربح شهري محترم، يكفي لحياة كريمة من المشروع الذي بدأه صديقة، رغم تساءله لفترة كبيرة عن مصدر المال، ولكنه استسلم لأكاذيب كريم في النهاية. نورا ظن أهلها أنها هربت منهم أو هربت مع شخص تحبه، ولم يبذلوا الجهد الكثير في البحث عنها، وتبرأوا منها، وكأنهم أرادوا ذلك، أما هبة عائلتها تبحث عنها منذ البارحة ولا يعرفون أين ذهبت ومع من ذهبت، هل حققت لورا بذلك انتقامها واكتفت بما فعلت؟!، هل تظن أن ذلك هو الحق من وجهة نظرها، لا يمكن أن يكون قتل الناس أبداً حلاً للمشاكل، وما تلك المهمة الأخيرة؟

من ستقتل هذة المرة يا ترى؟، من ستجرح هذة المرة؟، كلها أسئلة ظلت تدور في رأسي ولم أجد لها إجابات

خرجت من غرفتي في العاشرة صباحاً، ووجدتها تقف في بهو الفيلا بجوار السلم، وكأنها كانت تنتظرني كانت تنظر إلي وتبتسم، لم أرها تبتسم أبداً منذ فترة طويلة شعرت أنها رأت الأسئلة في عيني، فأجابت قبل أن أسأل

لورا : مهمتك لن تبدأ الآن... سأخبرك بها بمجرد غروب الشمس حتى تكون الأجواء مناسبة وبعد أن تنهيها سأحقق لك طلبك ونتوقف عن القتل.

ظللت أنظر إليها نظرة متشككة ولكنها زادت في ابتسامتها، ثم وجدتها تتجه إلى البوابه الحديدية وغادرت الفيلا

ولا أعلم أين ذهبت؟ عادت بعد ذلك في الخامسة عصراً، غابت عن الفيلا لسبع ساعات، سبع ساعات كدت فيهن أن

أجن من كثرة التفكير، عادت وهي تحمل صندوقاً مستطيلاً كبيراً لونه فضي يشبه صناديق الهدايا... وضعت الصندوق على الطاولة المستديرة واقتربت مني، كانت تنظر إلي نظرة وكأنها تقول لي أن تفكيري وعذابي يمتعانها...

وقفت خلفي وهمست بأذني كهمس الشيطان كانت نبرتها تشبه الفحيح هذه المرة...

لورا : حان الوقت مهمتك هي ... حبيبتك.

أحمد : من تعنين؟ فأنا لا أحب غيرك للأسف.

لورا : تلك هي نقطة خلافنا التي ستحسمها، إذا نفذت ما سأقوله لك، سأجعلك تواجه قلبك هذة المرة أثبت لي أنك تحبني.

أحمد : كيف؟؟

لورا : اقتل سالي...

أحمد : ماذا!؟

لورا : إذهب إليها في منزلها فلقد عادت من السفر منذ يومين، وأقنعها بسحرك أن تأتي معك بنزهة صغيرة

تمّشي معها قليلاً واصطحبها إلى أحد الشوارع المظلمة حيث لا يراكما أحد وفي هذه اللحظة اقضِ عليها وعضها، وامتص دمها حتى الموت كلها خالصة لك وحدك، وأعدك إن قمت بذلك، سأنهي كل شيء ولن أقتل أحداً أبداً بعد ذلك.

بعد ذلك أتت لتقف أمامي وتواجهني... وهي تنظر إلي بتحدي...

لورا : هل ستفعل تلك المهمة الأخيرة ؟

ماذا سأقول هل سأرفض أم سأقبل؟ هل أرفض وأتركها تستمر بقتل الناس وتقتل أبي من ضمنهم لمجرد أنها تريد القتل أم أقتل سالي، وأصبح مثلها وحشاً قاتلاً؟؟! أيهما سأختار؟!... أنا لا أعرف.

***

-41-

سأفعل ، قلتها بندم شديد فأنا على الرغم من أني لا أحب سالي، إلا أنني لا أرى أنها فعلت ما يستحق موتها، نعم هي بغيضة وثرثارة وطماعة وكل تلك الأمور، ولكن من منا خالٍ من العيوب؟ لم أعرف كيف وافقت ولكن كان حبي للورا أقوى من عقلي كثيراً، عقلي الذي رفض الفكرة منذ البداية، وقلبي الذي يعشق بصدق ويطلب مني أن أثبت لها مدى نزاهة هذا الحب وهذا العشق، لماذا يا لورا جعلتنا نصل إلى هنا؟ لماذا وصلنا لهذه النقطة؟، تركتها وغادرت لتنفيذ ما طلبت، وعندما وصلت إلى باب شقة سالي، ترددت كثيراً قبل أن أقرع الجرس ولكني فعلت في النهاية، فتحت هي الباب، كم تمنيت ألا ينفتح هذا الباب، لقد فتحتِ قبركِ بيديك الآن يا سالي، وما أن تلاقت أعيننا حتى نزلت دموعها، أما أنا فكنت أقف كتمثال ثلجي، كنت مثل الجلاد المأمور أن يذبح شخصاً ما وسيفعل ذلك رغماً عنه، حتى وإن لم يعرف هذا الشخص جريمته، ثم بدأت سالي بالصراخ بوجهي وكأنني أرى فيها لورا أخرى مجروحة وباكية، لمَ كُتب علي أن أجرح دون أن أدري؟.

سالي : ما الذي تريده الآن ألم تبعدني عن حياتك لأنك أحببت أخرى؟ ماذا؟ هل أذاقتك من الكأس ذاته؟، هل تركتك لأنها أحبت آخر؟ لا تصمت هكذا أجبني، أجبني قبل أن أجن...

لم أعرف كيف أجبتها بعد ذلك بهدوء...

أحمد : أريد محادثتك بأمر هام...

سالي : ما هو هذا الأمر الهام؟ هل تريد أن تطمئن إذا ما كنت على قيد الحياة بعد أن تركتني؟، هل تعلم أني سافرت لأتعالج من الاكتئاب بسبب أنك تركتني، أنا في حالة مزرية وبائسة والفضل لك في هذا.

أحمد : أنا أسف يا سالي لكل مافعلته، ولكن حقاً أريد التحدث إليك بأمر هام.

سالي : ماذا تتوقع أن أجيبك؟ هل تتوقع أن أوافق على سماعك كما تريد؟ أم أتهرب منك مثلما كنت تفعل معي؟

أحمد : سالي صدقيني الأمر هام حقاً، حياة أو موت، أرجوكِ.

سالي : حسناً، سأكون أكرم منك وسأدعك تتحدث هيا قل ماعندك وأرحل...

أحمد : ليس هنا رافقيني للخارج...

نظرت لي بنفاذ صبر ولكنها وافقت على المضي معي للأسف.

سالي : حسناً، سأبدل ثيابي.

انتظرتها حتى أبدلت ثيابها وخرجت معي، و ظللنا نسير طويلاً دون أن نتحدث حتى دخلنا شارعاً ضيقاً بين عمارتين، لم يكن به أحد... وضوؤه خافت، تماماً كما أرادت، توقفت فجأة وظللت صامتاً، كنت على وشك تنفيذ حكم الإعدام...

سالي : هل تسير لمدة ساعة دون كلام، لتتوقف هنا، أخبرني ماذا تريد مني الآن؟

أحمد : سالي... حقيقة لا أعرف ما سأقوله لكِ.

سالي : سأجعل الكلام أسهل عليك، لقد فضلت علي أخرى وألقيت بخاتم الخطبة بوجهي ثم اكتشفت أنها تخدعك ولا تحبك، وأنها ببساطة أحبت شخصاً آخر، أجل فهذا منطقي لعلها قالت في نفسها: "أنه ترك خطيبته السابقة من أجلي فسيتركني من أجل أخرى لأنه ببساطة خائن."

أحمد : لا تظلميني هكذا، أنتِ لا تعرفين ما حدث...

سالي : لا صدقني أنا أعرف، لقد ألقت الخاتم بوجهك تماماً مثلما فعلت معي، فأردت الآن العودة إليّ وكأنني أداة احتياطية لمداواتك...

لم أعرف كيف أجيبها، كنت أحدق في الفراغ أما هي فكانت تتحدث بعصبية وغضب وبكاء، شعرت بالضعف أمامها فهي الآن لورا أخرى، ولكن هناك لورا القاتلة ولورا الضحية، وأنا لست سوى سكين، أفقتُ من تلك الأفكار على صوتها...

سالي : لمَ لا تنظر إليّ وأنا أحدثك؟

أحمد : لا أعرف ما أقوله فقط، أنت محقة بكل ما قُلته...

سالي : إذن تريد العودة إليّ الآن، أتعتقد أني لازلت أحبك؟، لقد حاولت كثيراً التغيّر من أجلك، حاولت أن أعرف ما تحب وما لا تحب ولكنك لطالما كنت تبعدني عنك، وتصدّ كل تلك المحاولات وأعود أنا بعدها للإحباط والألم، أحمد أنا أحبك...

عندها وجدها تندفع نحوي وتضع رأسها على كتفي لتبكي، كانت رقبتها أمام عينيّ مباشرة، بدأت أشعر بنبضات قلبها، كنت على وشك قتلها، كانت رائحة دمها تملأ فمي، وكنت أشعر أن نوبة الطعام ستبدأ وظننت أني لن أشعر عند ذلك بشيء عندما أقتلها، لولا أن خالط رائحة دمها رائحة أخرى، شعرت بوجود شخص آخر في المكان، أبعدتها عني قليلاً ودرت بعينيّ في المكان باحثاً عن مصدر تلك الرائحة، حتى نظرت للأعلى فوق سطح إحدى العمارتين... لمحت شخصاً ركض بسرعة بمجرد أن لمحتها إنها هي كانت تراقبني للتأكد أني سأنفذ ما قالته.

توترت لذلك قررت المواجهة في هذه اللحظة لن أقتل سالي إن كانت ستموت فليقتلها غيري، لكني لن أفعل وإن كان على شخص أن يموت الليلة فلتكن جميلة... فوجئت سالي بأني أبعدتها عني، ولكني قمت بإمساك يدها والذهاب بسرعة لشارع عمومي، وأوقفت لأجلها سيارة أجرة، وقلت لها:" ألا تخرج من منزلها أبداً الليلة

فالليلة هي الليلة الأخيرة."

عدت بسرعة للعمارة التي رأيت لورا فوقها وصعدت السلالم بسرعة حتى وصلت إلى السطح، لكني لم أجد أحداً

اتجهت حيث كانت تقف وتراقبني شعرت بالفعل أنها كانت هنا وبمجرد أن استدرت، حتى وجدتها تقف أمامي

ولم أعلم من أين أتت؟ ويا للهول كانت ترتدي ثوب زفاف أبيض وتغطي ذراعيها بقماشة سوداء، كانت تعقد ذراعيها وتنظر لي بألم شديد... كانت نظرة عينيها أبلغ من الكلام... حاولت أن أشرح لها الموقف.

أحمد : لقد ... لقد...شعرت بوجودك... لقد توترت.

لورا : لا تقلق ...فأنت قتلت الليلة ولكنك لم تقتل سالي بل اخترت أن تقتلني أنا مرة أخرى، ياللي من غبية لأصدقك مرة أخرى، صدقت كذبتك الحقيرة ذلك اليوم، قلت لي:" أنك كنت تحبني.." وظللت كل يوم تقولها وترددها.

والآن لقد أثبتها، لقد خدعتني مرة أخرى، لا أعرف كيف لازلت تحبها هكذا كل هذا الحب، لقد قتلتني أنا الآن لتحميها.

عندها اقتربت مني وتحولت نبرتها الهادئة لنبرة غاضبة...

لورا: لماذا لم تفهم أنك كنت ملكي أنا منذ البداية، أنا من استحققتك منذ البداية، لكنك لازلت تحبها... لماذا أنت موجود في حياتي؟ لماذا لازلت في دمي؟ لماذا لازلت أحبك؟... ثم عادت لنبرة الهدوء والانكسار والبكاء أجل... كنت على حق تلك الليلة في غرفة البيانو، كنت أنا ولم تكن جميلة... كنت أحبك بالفعل تلك الليلة أردت أن أخبرك اليوم أن كل شيء انتهى، فقط أردتك أن تُخرجها هي من حياتي، أردت أن أخبرك لماذا كنت أريد الموت ذلك اليوم بالشرفة؟ أردت أن أُخرجك من قلبي

وأتخلص من هذا الحب الذي قتلني، أردت أن أتخلص من ذلك الشيء الذي ينمو داخلي بسببك...

أحمد : ماذا تعنين؟؟

أدارت وجهها وبكت بشدة.

لورا : قلت أنك ستعالجني ... قلت أنك ستجعلني أرتاح أردتك أن تفعل ... لم أُرد أن أصبح هكذا لم أُرد أن أصبح هذا الوحش في نظرك، أنا الآن أحمل طفلك بداخلي، واشتريت هذا الفستان لأبدأ معك مجدداً، أردتك أن تعالجني أردتك أن تثبت لي أنك تحبني، لِم قتلتهم كلهم؟ لماذا حولتك؟ كل ذلك لأني أحبك كنت قادرة على قتلك بأي لحظة وأنت نائم في بيتي، إن كنت أكرهك إلى هذا الحد، كنت أريد منك أن تكرهني يوم قتلت نورا بوحشية

كنت أريدك أن تتخلى عن خطوتك الأولى التي خطوتها في وجهي عندما أخبرتني أنك تحبني، لقد قتلتني تلك الكلمة ذلك اليوم إن كنت كرهتني بسبب كل ما فعلته بك، كان ذلك ليخفف ألمي الآن، إن كنت أعرف أنك تكرهني لما تفاجأت لأنك لم تقتلها اليوم...

حقائق انكشفت لي واحدة وراء الأخرى ولكن أكثر ما أدهشني هو أنها قالت لي:" أنها تحمل طفلي الآن." لقد ازدادت الأمور سوءاً، أردت مساعدتها ولكنها الآن انهارت تماماً... لا أعرف ما يمكنني قوله الآن.

أحمد : لماذا لم تخبريني كل ذلك من قبل؟ أنتِ من أوصلنا إلى هذة النقطة، أردت أن أوقفك كثيراً عما تفعلينه

لكنك كنت ترين الأمر مسلياً، كنت تستمتعين بقتلهم وتعذيبهم وكأن الأمر كان لعبة، وحياة الناس كانت بالنسبة لك لعبة، لو لم أكن أحبك ما أتيت إلى هنا، لو لم أكن أحبك ما كدت أقتلها بالأسفل، لكني لست وحشاً وهي لم تفعل شيئاً لتعاقب بالموت...

لورا : لكني فعلت الكثير لأموت أنا...أليس هذا ما تريد قوله والأمر كان لعبة... أجل إنها لعبة واخترت أنا الآن أن ألعب وقررت الآن الفوز فيها حتى نهايتها، أردتك أن تفوز علي، صدقني لكنك اليوم تخسر

دَمَعَت عيني، كثيراً من أجلها... لقد أوصلنا الجنون وسوء الفهم إلى تلك النقطة، وللأسف لا مكان للتراجع...

أحمد : لم أستسلم بعد يا لورا...

لورا : لورا ... لقد وضعت لتوك حجراً على قبرها بعد أن حاولت إحيائها، لست لورا ولا جميلة...أنا الآن لا شيء...

ماذا علي أن أفعل لأخرجك من داخلي؟! لقد سرت في درب من الجنون منذ زمن ظللت أتحمل طيلة خمسة عشر عاماً... كانت الطعنات تتوالى علي، الواحدة تلو الأخرى، في البداية أنت ثم والدي ثم ذلك الطفل بداخلي طفل لم تكتب له الحياة بعد الآن، فكيف سيحيا مع امرأة ماتت كل الأحاسيس بداخلها... أتعلم أني أشعر بنبضه الآن...

أردت الانتحار لأن نبضات قلبه تصم أذناي كل ليلة، كنت أخبط رأسي بالحائط علّ ذلك الصوت يهدأ، ولكنه طفل عنيد مثلك تماماً، كلما فعلت ذلك كان صوت النبضات يعلو أكثر وأكثر، كان يقودني للجنون كل ليلة حاولت الانتحار في غرفتي مراراً لكني فشلت. يوم مبارزتنا من أجل هبة شعرت وكأن ذلك الطفل شبحاً يمسك بيدي ويمنعها عن أذيتك لقد أخذ حُبك مني...

أحمد : إذن دعينا نفعل ذلك، دعينا نبدأ مجدداً من أجله لازالت الفرصة سانحة والأوان لم يفت بعد، سنسافر بعيداً عن هنا، نعيش في مكان آخر لا يعرفنا فيه أحد وتتوصلين لمصل لنعود كما كنا...

لورا : وهل ينتهي الأمر بهذه البساطة في رأيك؟؟

أحمد : لا نملك سوى هذا الآن، لورا ...أنا على استعداد أن أفعل أي شيء لأجعلك سعيدة، برأيك لم صبرتُ حتى الآن؟ أردت فقط أن أرضيك لأني ...أحبك... أخبريني فقط ما يرضيك وسأفعله...لم أحب سواكِ في حياتي صدقيني رغم مرور كل ذلك الوقت، أخبرتك منذ أول لحظة رأيتك فيها أني كنت أحبك، لم تخرجي من قلبي قط.

لورا : أجل ولقد برهنت لي ذلك الآن وتريد كذلك أن تمضي بقية حياتك معي معذباً...بعيداً عن سالي حبيبتك لتكفر عن ذنبك وحتى لا يؤنبك ضميرك أليس كذلك؟!

أحمد : لم تسيئين فهمي؟ ... كل تلك الظنون هي ما أدت بنا إلى هنا، قلت لك أخبريني ما يرضيك وسأفعله

أنا أحبك يا لورا، كل ما فعلته وكل ما سأفعله فقط لأني أحبك، لو عاد بي الزمن للوراء لذلك اليوم عندما رأيتك لأول مرة سأختار الطريق ذاته، لأني على استعداد للموت من أجلك إن طلبتي ذلك... لأني أحبك.

عندها قالت جملة لم أفهمها في وقتها لذلك تجاهلتها...

لورا : لم أعلم أن الموت بين يدي وفي عينيك...

أكملت كلامي رغم ذلك.

أحمد : لورا ... كيف أثبت لك أني أحبك؟

لورا: لا يوجد طريقة للاثبات لكنك سترى فخطتي لن تفشل أبداً، لن تكون أنت سبب فشلها أبداً سأجعلك تدفع ثمن مافعلت، سترى!

ثم رحلت سريعاً كما ظهرت سريعاً، كيف تبدلت هكذا؟ كيف أصبحتِ هكذا يا لورا؟، أنا أيضاً لن أستسلم يا لورا خاصة بعد أن علمت أن طفلي بداخلك لن أستسلم من أجله ولا من أجلك...

-42-

Carmen il est temps encore .. o ma Carmen laisse –)
moi te sauver ,toi que j'dore)[10]

***

كيف يجرؤ ، ولكنها ليست المرة الأولى، على فعلته تلك، لقد قتلني في السابق، قتلني عندما قال لها: أحبك. قتلني عندما خطبها وكانت هي امرأته أمام العالم أما أنا ففي السر، في السر أحبني، وفي السر وضع بذرته بداخلي وفي السر خانني وخان ما طلبته منه وجعلها تعيش ، كنت أسير خلفه عندما ذهب لمنزلها، كنت أقدم قدماً وأؤخر الأخرى، كنت خائفة مما حدث، كنت أتمنى ألا أراه يفعلها، يجعلها تعيش يوماً آخر، كنت أتمنى أن يخيب ظني ويثبت لي أنه يحبني أنا. ظل يفكر وهو يسير معها لمدة ساعة كاملة، لماذا ساعة لتتخذ قرار سهل كقتل تلك الحقيرة، ساعة يتأرجح فيها ذهنك بيني وبينها لتختارها هي في النهاية، حسناً سأجعلها تموت أمام عينيك...

(اقتليهم .... اقتليهم ...)

ذهبت سريعاً بسيارة أجرة إلى شقتها، وطلبت من السائق أن ينتظرني بالأسفل لأن شقيقتي مريضة، وعلي نقلها لأقرب

---

[10] * مقطع من المشهد النهائي لأوبرا كارمن - بيزية

مشفى فوافق ببساطة، قفزت إلى شرفة حجرتها، رأيتها عبر الستائر تقف أمام المرآة، تغني بصوتها القبيح الذي يشبه صوت الحية ذات الجرس، تتمايل في ميوعة وتداعب خصلات شعرها الذهبية، أعرف تلك الحالة، حالة النشوة التي تجتاح أي فتاة بعد لقاء حبيبها، تتذكر كل كلمة وكل همسة ولمسة خاطفة، سعيدة أنتِ يا سالي؟! وكتبت بيدك سطور التعاسة في حياتي أنا؟ لماذا أنا؟ لم تحاولين أخذ الشيء الوحيد الذي أردته بكل ذرة في كياني، حسناً سأزيد على نشوتك تلك الأضعاف... فسآخذك للقاءه مرة أخرى.

ركلت باب الشرفة بكل قوتي فانفتح على مصراعيه، صُعقت هي في البداية وكادت أن تبحث عن مكان لتختبئ فيه، لكنها لم تجد، ولكن عاودت النظر نحوي فوجدتني أنا مجرد امرأة عادية، فتحولت نظرتها إلى نظرة غضب، كادت أن تنطق ولكني اقتربت منها بهدوء وثبات جمد الكلمات بحلقها، ثم بسرعة جذبت ذراعها وحقنتها بمخدر خفيف، لم تكتمل الصرخة في فمها لأن المخدر أخذ مفعوله بسرعة، أخذتها في سيارة الأجرة إلى منزلي، وأدخلتها إلى الفيلا، وما أن فتحت الباب حتى رأيته، كان يقف بمنتصف البهو وظهره تجاه الباب، يعقد يديه خلف ظهره، يبدو أنه كان ينتظرني لينصب لي المحكمة، التفت ببطئ وما أن رآها ممدة على الأرض بجواري، اتسعت عيناه دهشة، ملت برأسي قليلاً ونظرت له بتحدٍ وغضب...

(اقتليهم .... اقتليهم ...)

أحمد : هل قتلتها؟ هل قتلتها؟

لورا : هل تحبها وتخاف عليها إلى هذا الحد؟!

ثم جررتها من يدها على الأرض حتى ألقيت بها أمامه...

لورا : لا تخف خدرتها فقط ستفيق بعد قليل...

أحمد : يكفي...يكفي يا لورا ليس من أجلي ولكن من أجل ابنك.

لورا : الغريب أنك قتلت هبة بدم بارد، لم سالي التي تدافع عن موتها إلى هذا الحد؟

أحمد : أنا لا أدافع عنها أنا أدافع عنكِ أنتِ وعن ابني، أتوسل إليكِ أن تتوقفي يا لورا ...لازال الوقت أمامك، فأنا أحبكِ أنتِ يا لورا ولا أحب أحداً سواكِ.

لورا : أسكت لا أريد سماع صوتك...أنت تقودني إلى الجنون...

سالي : آاه ...أين أنا.

جثوت بركبتي فوق صدرها...

لورا : مرحباً هل تذكرينني؟ ألم تريني في كوابيسك من قبل؟ إنها أنا... لورا.

سالي : أنتِ من أخذتِ أحمد مني أيتها الـ ... ما الاسم الذي قلتيه؟

لورا : لم آخذ منكِ شيئاً لم أفلح في ذلك قط، هو يحبك كثيراً حتى أنه لم يستطع قتلك.

نظرت إليّ نظرتها البلهاء تلك التي أمقتها فأحضرت نصلاً وجرحت به باطن يدها...

سالي : ماذا تفعلين أيتها المجنونة...

لورا : لا تحاولي تحريك يديكِ فالمخدر يجعلك غير قادرة على الحركة، ولكنكِ ستشعرين وسترين كل شيء ... كنتِ تعتبرينني من قائمة أصدقائك لأني ذكية أليس كذلك؟

أحمد : يكفي يا لورا ... يكفي.

سالي : لورا...أنت لورا...لا أصدق ...ابتعدي عني أيتها الحمقاء.

لورا : اخرسي...

ثم توجهت إليه...

لورا : اقتلها...اقتلها...

أحمد : اسمعيني يا لورا...دعيها ولنسافر لأي مكان سنبدأ من جديد من أجل ابننا ألا تحبيه؟

سالي : ابنكم!!؟ هل تزوجتها؟

لورا : اخرسوا...اقتلها...اقتلها الآن...اقتلهاااا.

أحمد : لا...

لورا : كنت أنتظر تلك الاجابة، حسناً إن لم تقتلها سأقطعها أجزاءً أمامك الآن، كُن أرحم مني واقتلها الآن، إن لم تفعل صدقني بعد دقائق فقط ستتمنى لو أنك فعلت، ألا تتمنى لها الرحمة، اقتلها قبل أن أفعل أنا... اقتلهاااا...

أحمد : أقسم لك أن حياتها لا تهمني في شيء، لقد أخبرتك أني لا أريد قتل أحد بعد الآن أرجوكِ يا لورا لنتوقف هنا...

لورا : لو قتلتها سأتوقف ولكن لو قتلتها أنا لن أتوقف أبداً، سأبدأ بقتل كل من أقابله في الطريق...

سالي : أحمد يحبني لن يقتلني من أجلك، هو يحبني أنا لقد تركك وأتى إليّ اليوم ليرجوني أن أعود إليه.

أحمد : كدت أقتلك وأقتل كل من يشابهك من أجلها فافعلي ما قالت واخرسي...

لورا : لا عليك...

(اقتليهم....اقتليهم...)

ثم أمسكتُ بالنصل وجثوت على صدرها وأمسكتُ لسانها بيدي وقطعته وألقيته بعيداَ...

لورا : هل أكمل؟ هي لم تعد مزعجة لن تستطيع الصراخ حتى... ماذا أقطع الآن؟ هل أقطع شعرها؟ أم أصابعها؟ أم أقتلع عينيها؟ أم أقطع أذنيها فلا تتطفل على حديث أحد؟ هل أفصل رأسها كله وأضعه بإناء زجاجي مملوء بالفورمالين لتجلس أنت أمامه وتبكي كل يوم بائس في عمرك القادم؟ هل أشق صدرها؟ ماذا تفضل أنت؟

سالي : أمممممم...

لورا : لا تخافي ستموتين في جميع الأحوال لن تشعري بالسوء بعد أن أفعل بكِ كل هذا.

أحمد : لورا ... يكفي !!

لورا : إذن اقتلها...إن قتلتها سأعرف أنك تحبني فعلاً، وإن لم تفعل لن ترى سوى الدماء ما حييت، ولكن سأضيف لك خياراً ثالث سيكون سهلاً عليك جداً، العالم لا يحتملنا أنا وهي أحياء سوياً، إن لم ترد قتلها، اقتلني أنا، لقد رجوتك أن تفعل ولكنك رفضت، افعلها الآن وخذها وغادر هذا المكان، الكرة في ملعبك فقط عليك الاختيار أنا أم هي أم الجميع في كل الأحوال هناك جثة ستبقى هنا الليلة؟!، اختر!!

ساد الصمت لبعض الوقت وسالي تتوسل إليه بعينيها أن يقتلها أما أنا فأتحداه بنظراتي، كانت أنفاسه سريعة ومتلاحقة، كأنه يصارع أفكاره.

أحمد : لا أستطيع لقد عاهدت نفسي ألا أقتل...لا أستطيع.

فقمت من فوري وبيدي النصل، ثم جعلتها تقف مستندة على ركبتيها وجززت عنقها فماتت على الفور وانساب الدم في كل مكان، ظل ينظر إليّ وعيناه مملؤتان بالدموع...

لورا : أتعرف لمَ لم أمتص دمها؟ لا أريد أن ألوث شراييني بهذا الدم القذر الذي على يديّ الآن، أتعرف اليزابيث باثوري اعتادت أن تستحم في دم الجميلات، ظنت أن هذا يجعلها جميلة ومحبوبة.

ثم مسحت يديّ بوجهي....

لورا : ما رأيك؟ هل أصبحت أجمل الآن؟ هل بشرتي تلمع وتصبح أكثر نضارة؟ لمَ لا تتكلم أنا لم أقطع لسانك أنت؟ هل

...هل أنت حزين لأنها ماتت؟ لقد أخبرتك أنك إذا أردت إنقاذها كان عليك أن تقتلني أنا... لقد نفذت رغبتك بالكامل، لمَ تنظر إلي هكذا؟ فعلت ذلك لأني أحبك... ألم أخبرك أني لم أحب في حياتي سواك؟ لا تصمت هكذا... كل ما فعلته كان من أجلك أنت، قتلتهم جميعاً لأعيش معك سعيدة...ألم تكن هذه رغبتك؟

أحمد : لورا...أنا أكرهك... أحبك كثيراً لدرجة أني أكرهك الآن...

لورا : إذن لمَ لم تقتلني لتريحني من هذا العذاب وترتح أنت كذلك؟!

أحمد : لأني لا أستطيع الحياة بدونك...

وجدته يندفع نحوي ويحتضنني بشدة...

***

-43-

أحمد : رائع .. لطالما كنت أتي هنا في فترة الراحة فقط لأسمع هذه الألحان الرائعة لم أعرف أنك من تعزفينها .. أحب البيانو كثيرا...لكني لم أتعلمه للأسف.

لورا (بنبرة ارتباك) : أمممم ...اااا... شكرا ... البيانو شيء بسيط يمكنني أن أعلمك.

أحمد : حقاً !!

لورا : نعم .. سأعلمك إياه كما تعلمته أنا ... الأمر بسيط صدقني.

***

لورا : تفضل !! كل عام وأنت بخير...

أحمد : ما المناسبة...؟! آه لقد نسيت إنه عيد ميلادي... أشكرك لورا أنت الوحيدة التي تذكرت ذلك ولكن كيف عرفت؟!...

لورا : بالصدفة...

أحمد : أنت شخصية رائعة.

لورا : شكراً.

***

لورا : ما هذه؟

أحمد : كل عام وأنتِ بخير...هذا شيء بسيط، أتمنى أن يعجبك فأنتِ الوحيدة التي تذكرتني في العام الماضي وأعلم أن عيد مولدك يكون في الصيف لذلك اشتريت الهدية وأبقيتها معي حتى ألقاك هنا...

فتحت العلبة وكان خاتماً رائع الجمال يتخذ شكل الوردة ...

لورا : رائع يا أحمد أشكرك، ولكن كيف عرفت أن عيد ميلادي هو اليوم؟!

أحمد : عن طريق الصدفة ...

***

أحمد : خذيه... هو لك أليس كذلك؟

لورا : نعم... ولكن لن آخذه أبقه معك ...كذكرى ربما...فأنت تعلم أنها السنة الأخيرة لنا في المدرسة ربما يكون له تأثير سحري...

أحمد : كيف؟؟

لورا : أبقه معك وعندما تريد أن تراني أمسكه، وأنطق اسمي ثلاث مرات تجدني...

***

وأتى دور هدية سالي ففتح العلبة لأجد أنها المجموعة الكاملة لأغاني موسيقى ذلك الفريق، وكل شيء خاص بهم...

عندها التقت عيناي المندهشة بعينيها الشامتتين، ولشدة سعادة أحمد بالهدية وجدته يقول دون أن يشعر: سالي أنا أحبك!!

***

عندها مددت يدي تجاه حوض الزهور الذي كنا بجواره وقطفت زهرة ...

أحمد : الحب بالنسبة لي هو هذه...

جميلة : التيوليب

أحمد : أجل فهي تذكرني بشخص غالي علي كثيراً...ليتني أعلم أين ذهب!

***

فوضعت يدها بيدي واقتربنا من بعضنا. أحطتها بذراعي ووضعت هي رأسها على كتفي في تلك اللحظة شعرت وكأني ملكت العالم، شعرت وكأني في الجنة، في نهاية الأغنية شعرت وكأنها ترتعش... وكأنها تبكي ولا أعرف السبب، أردت أن ابتعد عنها قليلاً لأرى وجهها، وأعلم ما الأمر! لكنها لم تسمح لي بذلك،

بل ابتعدت بسرعة واستدارت، وكانت سترحل لولا أني أمسكت بيدها وجذبتها نحوي في هذة اللحظة اقتربنا من بعضنا جداً، كانت عينانا متواجهتان وكنت أشعر بأنفاسها... كنت أرى عينيها اللامعتين من أثر الدموع، شعرت في هذه اللحظة تحديداً أني أحبها بل أعشقها، وأنني على استعداد أن أترك كل شيء من أجلها، كان صوت أنفاسنا يعلو على أي صوت آخر من حولنا، قلبي كان يدق بقوة جنونية، كانت أعين كل منا تقتحم أعين وروح الآخر، كانت عيناها تبث فيّ الرهبة والقشعريرة، كدت أنسى بل نسيت كل ما حولي بالفعل، كان الصمت في هذه اللحظة أبلغ من الكلام، أغمضنا أعيننا وكدت أن ألامس شفتيها لأذوب معهما...

***

جميلة : طوال عمري لم أحب سوى شخصٍ واحدٍ، أعطيت له قلبي وعقلي وروحي... لكن ما يحزنني أنني لم أعرفه...

فطوال الوقت كنت أتساءل من هي المرأة التي في قلبه؟ (ووضعت يدها على قلبي)، ومن هي المرأة التي في عقله؟ (ووضعت يدها على خدي وتعمقت بنظرتها أكثر) طوال حياتي لم أحب أحداً سواك.

***

أحمد :لا أعرف... حقاً لا أعرف، ولكنك تمسكين بتلابيب قلبي وتتحكمين بكل ذرة في كياني، كيف حدث هذا بسرعة؟ لا أعرف ولكن أنتِ وكأنك خلقتِ من أجلي... من أجل أن تجعليني

أحبك حتى تصعد روحي ويفنى جسدي في التراب... ولا أدري إن كان حبك في قلبي سيتوقف حينئذ أم لا ؟!

***

فاندفعت إلى صدري كالسهم الذي يسكن في هدفه تماماً، وكأن يداي خلقت لتضمها، وكأن رأسها خُلق ليستقر على صدري، وصدري لم يُخلق إلا لتذوب عليه رأس غير رأسها، وكأني خُلقت لأفنى منها وفيها، واشتعلت بداخلي النيران شوقاً...كانت هي من أشعلها، وكأنني لامست النار بيديّ فأشعلتني أنا الآخر، ولن يطفئها غير أن يظل جسدي متدفئاً بتلك النيران المستعرة، ربما للأبد... فإذا ابتعدت عنها سنيمتراً واحداً سأتجمد ويعود قلبي غارقاً في الظلام والبرودة فهي في ثورتها تلك أشبه بالشمس التي تحترق من داخلها لتضيء عالمي كله.

***

أحمد : أنت تكذبين الآن أعلم أنني لازلت في داخلك... لم تكوني معي تلك الليلة، لأنك خططت لذلك لقد استسلمت لذاتك تلك الليلة، أتذكرين ليس لدي دليل أقوى فأنتِ لازلت تحبينني...

***

أحمد : أجل ... وخطوتي الأولى أني لازلت أقولها لك...أنا أحبك.

***

كنت أريدك أن تتخلى عن خطوتك الأولى التي خطوتها في وجهي، عندما أخبرتني أنك تحبني...لقد قتلتني تلك الكلمة، ذلك اليوم إن كنت كرهتني بسبب كل ما فعلته بك... كان ذلك ليخفف ألمي الآن... إن كنت أعرف أنك تكرهني، لِم تفاجأت لأنك لم تقتلها اليوم...

***

لورا .. أنا أكرهك...أحبك كثيراً لدرجة أني أكرهك الآن...

***

كان الموت هو الحل، كان الحل الوحيد أمامي ، سألني قبلاً كيف يثبت لي أنه يحبني فأخبرته أن عليه الموت

وهذا ما فعلته، عندما احتضنته غرزت أسناني برقبته، وانتهى الأمر الآن ببساطة، رغم أنني امتصصت الكثير إلا أنه ظل واعياً، لكنه لم يستطع الوقوف على قدميه أكثر وسقط أرضاً، عندها أدركت أني لم أكن أعي ما أفعل.

وجدت لساني يردد (ما الذي فعلته؟؟...ما الذي فعلته ؟؟) جلست بجواره وأنا أحاول أن أجعله يتماسك.

لورا : لا تمت... ابق معي ... يمكنني أن أنقذك...فقط تماسك لا تمت.

عندها أمسك بيدي...

أحمد : لا ...هذا ما أستحقه ... كان علي الموت لأرى هذه النظرة في عينيك، الآن ماتت جميلة...ولقد اختارتني لأموت معها، لكني سعيد لأن لورا لن تموت الآن...

لورا : وكيف لي أن أعيش بدونك؟ فهي حياة الموت بالنسبة لي...

عندها ابتسم وتوقفت نبضات قلبه...

وتوقف عقلي عن العمل كذلك ظللت أضرب جثته حتى يستيقظ مجدداً، كنت لا أعي ما أفعل، ثم نمت بجواره على الأرض أبكي من هول ما فعلت.

-كيف فعلت كل ذلك؟

-كيف قتلت من أحب؟

-كيف قتلت كل هؤلاء الناس؟

-كيف أصبحت هكذا؟

-كيف قادني جنوني لهذا؟

-أنا من رميت بنفسي داخل هذا العذاب، والآن لن أخرج منه أبداً، كان حبه فرصتي للخروج، ولكنني الآن قتلته...

وكل شيء انتهى...

خرجت من الفيلا وظللت أركض في الشارع بسرعة، والناس كانت تنظر إلي وتتعجب!! ماتلك العروس التي ترتدي ثوب الزفاف المدرج بالدماء وتركض في الشوارع؟

ذهبت إلى المعمل، أخذت ما أخفيته وجهزته منذ أن حولتهم هما الاثنان، ثم استقللت سيارة أجرة بصعوبة

فقد ظنوني مجنونة أو مجرمة أو ذاهبة إلى قسم الشرطة فالدماء على ثيابي تنبئ بالكثير.

عدت للفيلا وكان كريم بالداخل وما أن دخلت من الباب حتى هاله ما رأى سرت أمامه بصعوبة، واقتربت منه

أمسكت بيده وأعطيته محقناً.

كريم : ما هذا؟

لورا : إنه المصل ... لتعود كما كنت أنقذ نفسك حتى لا تندم وتصبح مثلي، الآن غادر من هنا بسرعة ستأتي الشرطة أكيد... اهرب من هنا واحقن نفسك بهذا وعُد لحياتك ...اذهب.

عندها ركض بسرعة للخارج...

أما أنا فأمسكت بعلبة قطيفة حمراء صغيرة احتفظت بها عندما كنت بجوار بيتي القديم، صعدت لسطح الفيلا

وارتديت خاتمه الذي تمنيت أن ارتديه منذ صغري، صعدت فوق السور، وأعطيت ظهري للعالم خلفي

ووجهت عينيّ للسماء ...ها أنا قادمة ...فالحياة لا تستحق كل هذا العناء...فردت ذراعي وسمحت لنفسي بالطيران للأسفل.

الموت هادئ سهل ... انتحرت !! ... ربما !! ...لكنه كان العلاج الوحيد لي الآن.

تخلص العالم مني ...وتخلصت من العالم.

حبنا سيبقى ذكرى بين جدران تلك الأماكن التي جمعتنا ولن نظلم أحداً بعد الآن...

تمت

المراجع

قامت مجموعة من الخبراء الصينيين بأول عملية حقن تحوي جينات معدلة لانسان باستخدام تقنية كريسبير كاس 9 الثورية في 28 يناير 2017 حيث قام فريق بقيادة عالم الأورام (لو يو) في جامعة سيشون في شينجدو بنقل خلايا معدلة الي مريض بسرطان رئة هجومي وذلك كجزء من تجربة سريرية بمستشفي شينجدو غرب الصين .

حمست تلك التجربة الأطباء فهي أبسط وأكثر فعاليه باستخدام الجهاز وقام بالتجربة الطبيب الأمريكي (كارل جون) بتجربة جهاز كريسبر كايس 9 لاستهداف ثلاث جينات في خلايا المشاركين لعلاج سرطانات عديدة

جهاز كريسبر كايس 9 : يتضمن إنزيماً قاطعاً لل DNA مع أداة توجيه جزئية يمكن برمجتها حتي تقود الانزيم لمكان القطع بدقة .

-مشروع الجينوم البشري : مشروع بحثي بدأ العمل به رسمياً عام 1990 وقد أعلنت نتائجة الأولية عام 2000 والنهائية عام 2003 وهو جهد مشترك بين وزارة الطاقة DOE والمعاهد الوطنية للصحة NIH ويمكن معرفة أهدافه علي ويكيبيديا

- يمكن استخدام تقنيات أخري لفصل الDNA وهو تقنية تفاعل البوليمراز السلسلي التي اكتشفها كاري موليس ونال عنها جائزة نوبل 1993

-آلة المسلسل الـ sequencer تنفذ مجموعة تفاعلات كيميائية طورها فريد ساجنر

- تم الاستعانه بكتاب الفصامي كيف نفهمه ونساعدة

-كتاب بوابة العقد 1990

- بوابة علم الأحياء الخلوي والجزيئي

للتواصل مع الكاتبة

https://www.facebook.com/mony.elsaadany.9